٤

يهود المارانوس
عرض ودراسة

د. محمد بن عوض الشهري

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

• حصل على درجة الماجستير من كلية التربية (قسم الثقافة الإسلامية)، بجامعة الملك سعود، بأطروحته (منهج أبي المظفر الإسفراييني في كتاب "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين": عرض ودراسة).

• حصل درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين (قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بأطروحته (الفَصل في الملل والنحل، لابن حزم من أول الكتاب إلى نهاية الكلام في خلق اللّه لأفعال خلقه: تحقيقًا ودراسةً).

E : maa7979@gmail.com

الملخص

موضوع البحث: عن إحدى طوائف اليهود، وهي: "**المارانوس**".

أهداف البحث: التعريف بها وأسباب ظهورها، وبيان الطرق التي اتخذتها، وتحديد مظاهر تأثّرها وتأثيرها.

منهج البحث: الاستقرائي التحليلي.

نتائج البحث:

- "المارانوس" هم «اليهود الذين تنصروا في الظاهر مضطرين بعد زوال الحكم الإسلام عن الأندلس».
- كلمة "مارانوس" محل اختلاف بين لغات عدة، لكنها تدور في الغالب على معانٍ تتضمن الذم، أو مخالفة الظاهر للباطن.
- كان ظهورهم بسبب الاضطهاد الذي مارسه النصارى ضد اليهود في الأندلس بعد سقوط الحكم الإسلامي، فاضطروا لإظهار النصرانية وإخفاء يهوديتهم وحرصوا على ذلك.
- تأثر "المارانوس" بالنصرانية، فاختفت بعض الشرائع يهودية، واكتسب بعضها ملامح جديدة.
- استطاع "المارانوس" التأثير في النصرانية، ومن أبرز صور ذلك:
  - إيجاد شخصيات تدافع عن اليهود.
  - الطعن والتشكيك في كتابهم.
  - المساهمة في ظهور حركات الإصلاح البروتستانتي.
  - التغلغل في النظام البابوي الكاثوليكي والتأثير عليه.

أهم التوصيات: الحث على مزيد من الدراسات المتعمقة؛ عن "المارانوس" بتتبع تاريخها، وكشف حقائقها وآثارها ومظاهر وجودها في العصر الحاضر.

الكلمات المفتاحية: المارانوس- اليهودية- النصرانية- فرق اليهود- المسيحية- الأندلس.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق؛ ففتح به قلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًّا، وعيونًا عميًا، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال قائمٌ منذ خلق الله نبيه آدم عليه السلام، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو من سنن الله في خلقه، وأنصار الحق والهدى لا بد لهم من العلم والعمل بهما والدعوة إليهما والصبر على الأذى فيهما، كما لا بد لهم من معرفة الباطل والضلال واجتنابهما والتحذير منهما.

ولن يتحقق لهم النصر والعز والتمكين في صراعهم إلا بمعرفة دينهم وتمسكهم به، ثم المعرفة بأعدائهم والدراية بمكائدهم ومخططاتهم وأساليبهم، ومن أخطر أولئك الأعداء اليهود على اختلاف فرقهم وتعدد طوائفهم وتباعد الأمكنة وتطاول الأزمنة، ولا غرو في ذلك فالله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢].

ومن هنا تُدرك أهمية العناية بدراسة الديانة اليهودية وما يتعلق بها من فرق ومنظمات وطوائف وجمعيات؛ ليتفطن أصحاب الحق لأهل الباطل، وما عندهم من كيد ومخططات، وطرق ومحاولات؛ بغية معرفتها وبيان مخاطرها وكشف أصحابها، وقد تركزت هذه الدراسة على طائفة يهودية خفية، كانت لها ظروف نشأتها الخاصة، كما كانت لها طرقها ووسائلها في تحقيق أهدافها، التي تنتظم في سلك المخططات اليهودية لمحاربة الأديان، والتحلل من المعتقدات والشرائع والأخلاق، تلك هي طائفة "المارانوس" اليهودية، التي مارست نوعًا من النفاق والتقيّة بإظهار خلاف ما تبطن؛ نظرًا إلى ظروف الزمان والمكان التي وجدت فيهما، واستطاعت التكيف

والتأقلم مع تلك الظروف والأحوال، كما أنها توظف ذلك كله لخدمة المخططات والأهداف اليهودية المعلنة والخفية.

وقد وسمت هذا البحث بـالعنوان التالي: (**يهود المارانوس: عرض ودراسة**)

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا البحث وأسباب اختياره إلى عدة أمور، من أهمها ما يلي:

- أن لدراسة علم المقالات بشقيه الملل والنحل ومعرفة عقائدها وشرائعها وطوائفها ثمرات عديدة ومنافع متعدية، كالوقوف على أسباب انحرافها، واستشعار ما منّ الله به من نعمة الهداية للإسلام، والتوفيق لمنهج أهل السنة والجماعة، مع الوقاية من الوقوع في الانحراف، وكذلك تمكين طالب العلم من النجاح في دعوته، ودحض شبه الخصوم ومحاجتهم بعلم ومجادلتهم ببصيرة.
- شح الدراسات وندرة الأبحاث التي تميط اللثام عن طائفة "المارانوس" اليهودية، وتكشف حقيقتها، وتسبر غورها، وترصد تطورها، وتجلّي ملامح تأثّرها وتأثيرها.
- غفلة كثير من العلماء قديمًا، والباحثين حديثًا عن هذه الطائفة، وعدم الحديث عنها، أو الإشارة إليها ضمن الفرق والطوائف والجماعات اليهودية، مع ذكرهم لغيرها مما جاء بعدها، أو مما قد يكون أقل شأنًا وأضعف خطرًا وأثرًا؛ فترتب على ذلك جهل عدد من الباحثين بهذه الطائفة، بل اتسعت تلك الدائرة حتى شملت بعض المختصين.
- وجود أثر كبير ليهود "المارانوس" في خدمة الأهداف اليهودية، وتنفيذ مخططات اليهود من خلال التغلغل والوصول إلى المناصب المهمة والمفاصل الرئيسة ذات النفوذ عند السلطات والتأثير في القرارات.
- الحاجة إلى بيان جذورها وامتدادها التاريخي، وعلاقتها بالجوانب الأخرى النفسية منها، والاجتماعية، وغيرها.

- تأثير هذه الطائفة على غيرها من الطوائف والمنظمات اليهودية التي ظهرت بعدها.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث في الأمور الآتية:

١. اكتناف الغموض والسرية لجوانب مهمة متعلقة بيهود "المارانوس"، فأصبحت هذه الطائفة مغمورة؛ ولذلك لا يكاد الباحث يجد لها ذكرًا في الكتب التي عنيت بالديانة اليهودية، بل إن جملة من المختصين يجهلونها، ومن علم بها منهم فإن معلوماته عنها ضئيلة إن وجدت[١].

٢. أن ليهود "المارانوس" أثرًا خفيًّا وتأثيرًا غير مباشر في الديانة النصرانية، قد لا يدركه كثير من الباحثين أو المهتمين بالأديان، فهي وإن كانت أقرب إلى الاندثار، إلا أن منهجها وطريقتها لا يستبعد بقاؤهما واستمراريتهما عند طوائف أخرى، فضلًا عن كونها امتدادًا لمناهج وطرق اليهود في أزمان غابرة.

أهداف البحث:

١. التعريف بيهود "المارانوس" وبنشأتهم مع الكشف عن الأسباب والأحوال التي أدت إلى ظهورهم.

٢. بيان الطرق والأساليب التي اتخذتها تلك الطائفة للجمع بين الترويج لظاهر أعمالها، مع المحافظة على باطن مختلف تمامًا عن ذلك الظاهر.

٣. تحديد مظاهر تأثر يهود "المارانوس" بغيرهم، وفي المقابل تحديد مظاهر وعوامل تأثيرهم في غيرهم، وخاصة على الديانة النصرانية.

---

(١) ومما يؤكد هذا أن هناك دراسات موسعة عن الفرق اليهودية لباحثين مختصين في الديانة اليهودية، ويأتي ذكر اليهود في الأندلس في بعضها دون الإشارة من قريب أو من بعيد إلى يهود "المارانوس"، بل إن الموسوعة العبرية لم تذكرها ضمن الفرق اليهودية!

ينظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، لعبد المجيد همو، ص(١٤٠-١٤١)، واليهود فتنة التاريخ، لماهر أحمد آغا، ص(١٨٩-١٩٣)، والفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية، ترجمة وتقديم وتعليق: نبيل الغندور، ص(١٥٧، ١٦٨-١٧١).

تساؤلات البحث:

يمكن إجمال التساؤلات التي سيحاول البحث الإجابة عنها فيما يلي:

١. من هم يهود "المارانوس"؟ ومتى كان ظهورهم؟ وأين كان وجودهم؟

٢. ما الظروف التي أسهمت في وجود "المارانوس"، وأثّرت في منهجهم وأسلوب تدينهم؟

٣. ما الذي يميز طائفة "المارانوس" عن غيرها من الفرق والطوائف اليهودية الأخرى؟

٤. هل تأثر يهود "المارانوس" بغيرهم، وهل كان لهم تأثير على آخرين؟

حدود البحث:

سيقتصر البحث على طائفة "المارانوس" اليهودية دون غيرها من الفرق والطوائف والمنظمات اليهودية، وذلك من حيث التعريف بها، ونشأتها، ومعتقداتها وتشريعاتها، بالإضافة إلى بيان ما لها وما عليها من التأثير والتأثر.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتحري وبعد السؤال والاستفسار والمراجعة للمظان في مجال مقارنة الأديان وتاريخها، والمتعلق باليهودية منها –تحديدًا– لم أعثر على بحث علمي أو دراسة أكاديمية مستقلة ومتخصصة تناولت يهود "المارانوس" بالبحث والدراسة، وغاية ما يمكن الإشارة إليه هنا دراستان:

الأولى: "أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس: دراسة عن اليهود المارنواس[(١)]، للدكتورة: هدى درويش، وهي دراسة موجزة، وليست رسالة علمية أو بحثًا أكاديميًا، وهي وإن كانت لبنة في صرح الأبحاث المتعلقة بهذه الطائفة–على قلتها–، إلا أنها لم تسلم من جملة من المآخذ والملحوظات، من أبرزها: كثرة التكرار الكميّ

(١) هكذا كتبت "المارنواس"، على غلاف الدراسة، والصواب: "المارانوس"، كما هي في كافة المواضع في الدراسة. والدراسة من منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، مصر، وطبعتها الأولى عام (٢٠٠٨م).

للمعلومات على حساب الكيف النوعي، فضلًا عن حاجتها إلا مزيد من الترتيب والتركيز، كما أنها لم تبرز جانبًا مهمًا في سياق البحث عن هذه الطائفة، وهو المتعلق ببيان مدى الأثر الذي تعرضت له، والتأثير الذي أسهمت به، بالإضافة إلى أن جلّ إحالاتها إلى مرجعين[١]، فضلًا عن وجود عدد من الملحوظات المنهجية في العزو والتوثيق، علاوة على قلة مصادرها، وعدم تنوعها، وافتقارها إلى الأصالة، وكذلك احتوائها على أخطاء عديدة في الطباعة والإخراج، وكل هذا لا يقلل من قيمتها العلمية، فقد تميزت بالرجوع إلى جملة من المصادر والمراجع باللغة العبرية، وهذا إسهام موفق ومقدر ولا شك.

الثانية: "اليهود المتخفون عبر التاريخ وأثرهم في النصرانية والإسلام قديمًا وحديثًا"[٢]، ليوسف رشاد، وهذه الدراسة أيضًا ليست رسالة علمية ولا بحثًا أكاديميًا، وهي تتحدث عن الأفراد والفرق والطوائف اليهودية عبر التاريخ الذين غلب عليهم التخفي؛ لتحقيق مآرب وأهداف تخدم اليهود، أو اضطروا إلى ذلك، ابتداءً من بولس شاؤول اليهودي[٣]، وانتهاءً ببعض المظاهر المعاصرة للتخفي اليهودي، وقد تحدث عن "المارانوس" في إحدى فصول الباب الأول من الدراسة، تحت عنوانه "اليهود المتخفون عبر التاريخ في الأندلس "المارانوس"، لكن ما يعاب عليها أنه لم تلتزم بالمنهج العلمي في كتابة البحوث، فهي أقرب إلى الارتجال والكتابة الإنشائية منها إلى البحث العلمي المنهجي الرصين، فضلًا عن كون المؤلف اعتمد كثيرًا على بحث الدكتورة: هدى درويش الآنف الذكر، كما أن الدراسة ليست خاصة بيهود "المارانوس"؛ إذ الحديث عن "المارانوس" لا يكاد يتجاوز (٨٪) من مجموع الدراسة.

---

(١) والمرجعان هما: "بابوات من الحي اليهودي"، يواكايم برنز، ترجمة خالد أسعد عيسى، و "إسبانيا في تاريخها"، أميركو كاسترو، ترجمة علي إبراهيم منوفي.

(٢) والدراسة من منشورات دار الكتاب العربي، دمشق والقاهرة، وطبعتها الأولى عام (٢٠١٠م).

(٣) ستأتي ترجمته والتعريف به في أثناء البحث.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث – إجمالًا- من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وهي تفصيلًا على النحو التالي:

المقدمة:

وتتضمن عدة أمور أبرزها: مقدمة البحث، وأهميته وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد/ اليهودية: التعريف والفرق

وفيه أمران:

الأول: التعريف باليهودية.

الثاني: الفرق اليهودية.

المبحث الأول/ "المارانوس": التعريف والنشأة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بـ"المارانوس".

المطلب الثاني: نشأة "المارانوس".

المبحث الثاني/ "المارانوس": الظاهر والباطن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: "المارانوس" والظاهر النصراني.

المطلب الثاني: "المارانوس" والباطن اليهودي.

المبحث الثالث/ "المارانوس": التأثُر والتأثير.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأثُر "المارانوس" بالنصرانية.

المطلب الثاني: تأثير "المارانوس" في النصرانية.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج المستخلصة من البحث.

الفهارس:

وتحتوي على فهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأسلك في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي.

إجراءات البحث:

سأتبع في كتابة البحث وتوثيق نصوصه الطرائق العلمية المعتبرة، وفق ما يلي:

- كتابة الآيات القرآنية وفق رسم المصحف، مع عزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب من مصادرها الأصلية، -قدر الإمكان-.
- توثيق النصوص الواردة بعزوها إلى مصادرها ما أمكن ذلك.
- الترجمة الموجزة لذوي الأهمية من الأعلام الوارد ذكرهم عند أول ورود لهم.
- التعريف الموجز بالديانات والفرق والطوائف، والمواضع، والغريب مما تدعو إليه الحاجة.
- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

وأخيرًا، آمل أن أكون بهذا العمل قد قدمت لبنة متواضعة في صرح الأبحاث التي تُعنى بمقارنة الأديان، والأديان الكتابية على وجه التحديد، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وبتوفيقه وفضله، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه.

اللهم ألهمنا الرشد، والاعتقاد الذي يرضيك، والإيمان الصادق الصحيح، المقرون بما يقتضيه من عمل صالح، ولك الحمد ربنا في البدء والختـام.

التمهيد

التعريف الموجز باليهودية وفرقها

أولًا: التعريف باليهودية:

تعددت تعريفات اليهودية ما بين مسهب ومقتضب، ولعل من أوجزها وأجمعها وأدقها تعريفها بأنها «الديانة الباطلة المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به نبي الله موسى عليه السلام»(١).

ولعل هذا هو التعريف الصحيح لليهودية، ومن خلاله يتبين الخلل في بعض التعريفات التي تقول: إنها الدين الذي جاء به موسى عليه السلام، أو: إنها دين موسى عليه السلام، وهذا خطأ؛ إذ موسى عليه السلام لم يجئ باليهودية، وإنما جاء بالإسلام -بمفهومه العام- الذي يعني الاستسلام لله وحده، فهو دين جميع الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ.

قال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال تبارك وتعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]، فهذا هو الإسلام العام الذي جاء به جميع الأنبياء.

أما الإسلام الخاص فهو شريعة القرآن التي جاء بها محمد ﷺ(٢).

وهذا الإسلام الخاص يشترك مع كافة الشرائع في التوحيد والأصول، ويختلف في تفصيل بعض الشرائع(٣).

---

(١) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، د. محمد الحمد، ص(٧٢).

(٢) ينظر: التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص(١٩٦-١٧٥).

(٣) ينظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، د. محمد الحمد، ص(٧٢-٧٣).

واليهودية نسبة إلى اليهود، وقد وقع الخلاف في تحديد المراد بلفظ "اليهود" على عدة أقوال، أشهرها قولان:

أ- أن كلمة "يهود" في أصلها كلمة عبرانية وليست عربية، نسبة إلى "يهوذا"[(١)]، أحد أبناء نبي الله يعقوب عليهم السلام، ثم قلبت الذال المعجمة دالًا مهملة، وكان الاسم يطلق على مملكة "يهوذا" لتمييزها عن مملكة إسرائيل التي كونّها بقية الأسباط العشرة، ثم توسع معنى اللفظ وتطور، فأصبح يطلق على جميع من ينتسب إلى الديانة اليهودية، سواء كان من ذرية نبي الله يعقوب وأبنائه أم لا، وعليه صار مدلول كلمة يهودي مرادفًا لكلمة إسرائيلي[(٢)].

ب- أن لفظ "يهود" مأخوذ من كلمة عربية الأصل وهي مشتقة من "الهَوَد" أي التوبة والرجوع، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٥٦]، أي: عدنا وتبنا إليك، وعلل ذلك بمناسبة لحال اليهود وسيرتهم؛ لكثرة تمردهم وعصيانهم، ومن ثم توبتهم وأوبتهم بعد ذلك[(٣)]. وهناك أقوال أخرى في هذه المسألة[(٤)].

---

(١) يهوذا بن يعقوب: اسم عبري معناه «حمد» وهو رابع أبناء يعقوب من زوجته ليئة، ولد في ما بين النهرين (تكوين٢٩:٣٥)، وكان يكبره رأوبين وشمعون ولاوي، كما كان يصغره يساكروزبولون (تكوين ٢٩:٣١-٣٥، ٣٠:١٧-٢٠). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين ص(١٠٨٥)، المحيط الجامع، الخوري ص(١٤١٣)، المنجد في اللغة والأعلام، معلوف ص(٦٢٢).

(٢) ذهب إلى هذا القول: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن(١/ ٤٣٢)، والقاسمي في محاسن التأويل (١/ ٣١٨)، وينظر كذلك: التحرير والتنوير(١/ ٥٣٢)، المحرر الوجيز (١/ ١٥٧)، لسان العرب (٣/ ٤٣٩).

(٣) ينظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، عبدالباري ص(٢٣-٢٧)، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، د. محمد الحمد ص(٧٥-٧٦).

(٤) ومن تلك الأقوال: أنها نسبة إلى التقرب والعمل الصالح، فالمشهور هو: التقرب المتعبد، والتهود على ذلك العمل الصالح، ويشهد لذلك قول زهير بن أبي سلمى:

سوى رَبَع لم يأت فيه مخافة ولا رهقًا من عابد متهود

وقيل من الهوادة: أي المودة، فسموا بذلك لمودة بعضهم لبعض!.

وقيل من التهود والتهويد، بمعنى التمايل والتحرك الجسدي أو التنغيم الصوتي أثناء تلاوة التوراة.

ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٣/ ٤٣٩)، مختار الصحاح، الرازي ص(٣٢٩)، القاموس المحيط، الفيروزأبادي ص(٣٢٩)، اليهود المفسدون في الأرض، الحصين ص(٩)، وقد أوصلها بعضهم إلى ثمانية=

ومن الأسماء التي تطلق عليهم:

١- اليهود.

٢- (بنو إسرائيل) الإسرائيليون.

٣- الذين هادوا.

٤- أهل الكتاب؛ وهذه التسميات وردت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ.

٥- العبرانيون[١]، وقد اختلف في سبب التسمية، ولعل الراجح أنهم سموا بذلك؛ لكثرة انتقالهم وارتحالهم من مكان إلى آخر[٢].

ومع ذلك فإن تسميتهم "باليهود" هي الأكثر استخدامًا وبخاصة في المصادر العربية، ولهذه التسمية دلالة دينية؛ إذ تطلق على كل من يعتقد الديانة اليهودية، ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها، ...فهي إذن ذات دلالة دينية خالصة[٣].

ثانيًا: الفرق اليهودية

أخبر نبينا محمد ﷺ عن افتراق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة في حديث الافتراق المشهور، حيث جاء فيه «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة**»[٤].

=أقوال، ينظر: موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود(١/ ١٤١).

(١) وقد ذهب إلى هذا القول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم كمجاهد وابن جبير وآخرين. ينظر: جامع البيان، الطبري(٢/ ١٤٣)، (١٣/ ١٥٤-١٥٥)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ١٨٣)، (٣/ ٤٣٢)، الدر المنثور، السيوطي (١/ ١٨٢)، (٣/ ٥٧١)، الملل والنحل، الشهرستاني (٢/ ١٥)، تلخيص البيان، الفخري ص(١٩٨)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٠٥)، العين (٤/ ٧٦).

(٢) ينظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، عبدالباري ص(٢٤)، اليهودية والمسيحية، للأعظمي، ص(٥١-٥٤)، الآثار الواردة عن السلف في اليهود، الحوشان ص(٥٠)، مفصل العرب واليهود في التاريخ، سوسة ص(٥٠٥).

(٣) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، خليفة حسن ص(٢٩).

(٤) رواه: أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، (رقم ٤٥٩٦)، (٥/ ٤)، ،والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٠)، (٥/ ٢٥)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في: كتاب الفتن، باب: افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١)، (٢/ ١٣٢١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والحاكم في "مستدركه" في: كتاب الإيمان، (١/ ٦١)، وقال: "هذا حديث كثر في الأصول، وفي: كتاب العلم، (١/ ١٢٨)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والآجُري في=

ومعلوم أن هذا العدد -على القول الراجح- للحصر والتعيين[١]، وهذا يدل على أن فرق اليهود وإن زادت على العدد كما هو الواقع فإن مرد أصولها إلى إحدى وسبعين فرقة، خلافًا لمن توهم غير ذلك ممن تناول مسألة الفرق اليهودية بالبحث والدراسة[٢].

وقد تباينت آراء العلماء المتقدمين والباحثين المتأخرين في الحديث عن الفرق اليهودية، ولكنهم متفقون على كثرتها وتعددها وتشعبها، وأن ذلك حدث منذ فترة مبكرة ترجع إلى عهد نبي الله موسى عليه السلام[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:١٦٠].

جاء في تفسيرها: «إنه تعالى فرق بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة، إلا أنهم كانوا من اثني عشر رجلًا من أولاد يعقوب، فقطعهم وميّز بعضهم عن بعض»[٤].

ومهما يكن من أمر فإن الفرق اليهودية بينها من الاختلاف في الأصول والفروع ما يوحي بأن كل فرقة لها دين مستقل عن الأخرى، وإن كانوا في الظاهر يحسبهم المسلمون وغيرهم على قلب رجل واحد إلا أنهم متفرقون[٥].

=الشريعة: باب ذكر افتراق الأمم، ص (١٥)، والحديث صححه الترمذي، والحاكم، وابن حبان، وصحَّحه أيضًا: الشاطبي في "الاعتصام" (٢/ ١٨٩)، والسيوطي في "الجامع الصغير"(٢/ ٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٤٩٢).

(١) وهذا هو الذي عليه جماهير أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، ينظر في ذلك: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ٣٥٠- ٣٥١)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي ص(١٩)، الاعتصام، الشاطبي (٢/ ٧١٨- ٧٢٣).

(٢) ينظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، لعبد المجيد همو ص(١١).

(٣) من الباحثين من يرى أن بذور الخلاف بينهم ظهرت بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام حيث انقسمت دولة اليهود إلى مملكتين متحاربتين، فلم تجتمع كلمتهم منذ ذلك الحين. ينظر: اليهودية والمسيحية، للأعظمي، ص(١٨٥).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي (٨/ ٣٥).

(٥) ينظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، عبدالباري ص(٣٦)، بتصرف.

كما وصفهم الله تعالى بقوله سبحانه:﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤]، أي أن قلوبهم شتى جمع شتيت، أي متفرق لا ألفة بينها، يعني أن بينهم إِحَنًا وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد، ولا يرمون عن قوس واحدة، وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم(١).

وقد اجتهد الباحثون في تلمس أسباب الافتراق اليهودي والانقسام الذي وصلوا إليه، فمنهم من أعاد ذلك إلى نواحٍ: دينية وسياسية وقَبَلَية(٢)، ومنهم من جعلها راجعة إلى مذاهب: سياسية، وفقهية، وأخرى مصدرية(٣)، إشارة إلى موقفهم من مصادرهم، كالتوراة والتلمود، كما أن الظروف التي عصفت ببعضهم والبيئات التي عاش فيها آخرون منهم أدت إلى ظهور طوائف كثيرة، وجماعات متنوعة، كما سيتبين من خلال هذا البحث.

ولعل من نافلة القول الإشارة إلى أن الفرق اليهودية ليست على مستوى واحد من حيث الانتشار وعدد الأتباع، فمن هذه الفرق من بقي أتباعها في حدود المئات فقط، ومنها من كان أتباعها أكثر من ذلك، ومنها من انقرضت، ودخلت في ديانات سماوية أخرى، أو ذاب أتباعها في فرق يهودية أخرى(٤).

(١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي (١٥/ ٨٤).

(٢) اليهودية والمسيحية، للأعظمي، ص(١٨٥). وقد يكون المراد هنا الجنس، فمن الباحثين من قسم اليهود بحسب أجناسهم إلى غربيين وشرقيين وإلى غير ذلك. ينظر: الفرق اليهودية المعاصرة، أسماء السويلم، مجلة الدارسات العقدية، العدد (١)، ص(١٩٧-٢٠١).

(٣) ينظر: الفرق والمذاهب اليهودية، لعبد المجيد همو، ص(٢١-٢٢)، وقد عبر الباحث عن السبب الثالث بقوله: "مذاهب مؤمنة بالتوراة فقط، وآخرون بكتب أخرى كالتلمود" المرجع السابق، ص(٢٢).

(٤) ينظر: موقع شبكة المعارف الإسلامية على الشبكة العنكبوتية:

http://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/almaaref_alislameya/dourouss_fe_aladyan/page/lesson4.htm

وإذا ما فحصنا كلام مصنفي كتب المقالات، وما ورد في الأبحاث المعاصرة من تعداد الفرق اليهودية وجدنا دائرة التباين تتَّسع أكثر فأكثر، بينما يرى المتخصصون في شأنها أن تعدد الفرق اليهودية واختلافها يرجع إلى: المعتقدات والأصول، وقدسية أجزاء العهد القديم، والنظرة إلى الكون، والتعامل في داخل المجتمع اليهودي وخارجه(١)، وربما قسم بعض الباحثين تلك الفرق بالنظر إلى القِدَم والجِدَّة(٢)، وهناك تقسيمات أخرى(٣).

وتناول هذا الأمر ودراسته -ولو على سبيل الإيجاز- يحتاج إلى بحث مستقل، فلا يناسب بسطه في مثل هذا التمهيد، ولعل الاكتفاء بذكر بعض اختلافهم في عدِّ أصولهم يؤدِّي المقصود.

فمنهم من جعل أصولها ترجع إلى ثلاث فرق(٤).

وغالب من تعرض لهذا الأمر حصر رؤوسها في أربع فرق(٥).

ومال آخرون منهم إلى أنها خمس فرق(٦).

وربما زادها بعضهم فأوصلها إلى ست فرق(٧).

(١) ينظر: دراسة شاملة عن الفرق اليهودية القديمة والمعاصرة، عبد الوهاب الجبوري:
http://bafree.net/alhisn/showthread.php?t=138536

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف ص (١١٨-١٢٧)، الفرق اليهودية المعاصرة، أسماء السويلم، مجلة الدارسات العقدية، العدد (١)، ص(١٨٧)، وما بعدها، يهود الدونمة، عبد المعبود ص(٢٥-٣٢)، دراسات في اليهودية ، د. عبد الله بركات وآخرون، ص(٣٢٣-٣٨٢).

(٣) ينظر: اليهود فتنة التاريخ، ماهر أحمد آغا، ص(١٠٦-١١٢).

(٤) ينظر: التخجيل لمن حرف التوراة والإنجيل، الجعفري (١/ ٢٤).

(٥) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني (٢/ ٢٠- ٢٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي ص(١١١-١١٤)، التخجيل لمن حرف التوراة والإنجيل، الجعفري(٢/ ٥٣٩)، تلخيص البيان، الفخري ص(٢٠١-٢٠٧)، المختصر في أخبار البشر، المؤيد (١/ ٨٨).

(٦) ينظر: الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/ ٨٢).

(٧) ينظر: تلخيص البيان، الفخري ص(١٩٨).

ومنهم من زاد على ذلك، وربما وصلت عندهم إلى ثلاث عشرة فرقة[١].

هذا التباين والكلام عن فرق اليهود القديمة فقط[٢]، أما الفرق الحديثة فحصر رؤوسها والكلام عليها فيحتاج إلى بحث مستقل، بل ربما احتاج كل منهما إلى إفراده بالبحث والدراسة(٣).

ويظهر مما سبق اختلاف العلماء في تحديد أصولها، واضطراب أقوال بعضهم في ذلك.

ومع ذلك كله فإن جلّ من تناول الفرق والطوائف والجماعات اليهودية لم يتطرق أي منهم إلى يهود "المارانوس" لا من قريب ولا من بعيد؛ ولذا كان هذا الأمر من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع للبحث والتنقيب.

(١) ينظر: البدء والتاريخ، المقدسي (٤/ ٣٤).

(٢) ومن أبرز الفرق اليهودية المتقدمة التي ذكرها أولئك: العنانية (القراؤون)، والعيسوية، السامرة، الفريسيون (أو الربانيون)، الصدوقيون، المقاربة (أو اليوذغانية)، الموشكانية، الكتبة، الأسينيون.

(٣) كتبت د. أسماء السويلم بحثًا عن الفرق اليهودية المعاصرة، اقتصرت فيه على ذكر خمس فرق، هي: الأرثوذكسية، الإصلاحية، المحافظة، المسيحانية، الصهيونية. ينظر: مجلة الدراسات العقدية، العدد (١)، ص(٢٠٢-٢٤٨).

المبحث الأول

"المارانوس": التعريف والنشأة

المطلب الأول: التعريف بـ"المارانوس".

إن مما يسترعي الانتباه في هذا المجال ذلك التباين الواسع في المراد بمصطلح "**المارانوس**" في جانبه اللغوي، ولعل ترجمة الكلمة من لغة إلى أخرى مع الخلاف في أصلها وأصل اشتقاقها من أبرز أسباب وقوع ذلك التباين.

وبناء على ذلك وعلى خلاف ما جرت به العادة في تقديم التعريف اللغوي على الاصطلاحي، يجد الباحث نفسه مضطرًا هنا لتقديم التعريف الاصطلاحي على اللغوي؛ لأن التعريف "بالمارانوس" لغةً مبني على المعرفة الاصطلاحية، وبها يُدرك عمق الخلاف اللغوي، وتباين نظرة كل لغة إلى حقيقة المنتسبين إلى ذلك المصطلح المتعدد الأوجه لغويًا.

أما اصطلاحًا: فقد تم تعريف "**المارانوس**" بعدة تعريفات، منها:

- «جماعة أو طائفة من اليهود، تشكلت حسب الظروف والبيئات التي عاشوا فيها فأظهروا النصرانية وأبطنوا اليهودية» [(١)].
- «اليهود المتخفون في إسبانيا الذين تراجعوا ظاهريًا عن اليهودية حتى يتمكنوا من البقاء في إسبانيا بعد سقوط الحكم الإسلامي»[(٢)].
- «اليهود الذين تنصروا فترة الحكم النصراني الكاثوليكي[(٣)]

(١) اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٦).

(٢) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٨)، بتصرف.

(٣) الكاثوليك: إحدى أعرق وأكبر طوائف النصرانية الثلاث المشهورة، تحت السلطة العليا للبابا، ويطلق عليها اسم "الكاثوليكية الرومانية" للتمييز بينها وبين الطوائف الأخرى التي تستخدم لفظ "الكاثوليك" أيضًا للدلالة على هويتها وشعائرها، ولفظ الكاثوليك في أصله اليوناني يعني: الكلية أو العالمية، ومركزها في روما، وجمهورها في أوربا عمومًا، وهم يعتقدون -بزعمهم- أن الإله الابن مساوٍ في خصائص الألوهية لله الأب، وروح القدس منبثق عنهما. ينظر: قاموس المذاهب والأديان، حسين علي ص(١٦٧)، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، القفاري ص(٨٦)، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، ص(٥٣-٥٤).

للأندلس»[١].

- «طائفة من اليهود ظهرت في إسبانيا والبرتغال منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، بعد إخراج المسلمين منها» [٢].
- «يهود شبه جزيرة أيبيريا[٣] الذين تحولوا إلى النصرانية طوعًا أو قسرًا، والذين ظل بعضهم يمارسون دينهم اليهودي سرًا» [٤].

وهناك تعريفات أخرى للمارانوس لا تكاد تخرج عما ذكر في التعريفات السابقة[٥].

ويمكن من خلال النظر والتأمل في مجموع تلك التعريفات يمكن أن يصل الباحث إلى تعريف "المارانوس" اصطلاحًا بقوله: «اليهود الذين اضطروا إلى اعتناق النصرانية ظاهريًّا بعد سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس»، أو «اليهود الذين تنصروا في الظاهر مضطرين بعد زوال الحكم الإسلامي عن الأندلس».

وأما في اللغة: فقد تجاذبت هذه المفردة لغات عدة، وقد تتفق وتتقارب في المعنى، ولكنها ربما اختلفت وتنافرت معانيها الدالة عليها.

ومهما يكن من أمر فلا بد من الإشارة أولًا إلى أن كلمة "مارنو" أو "مارانوس"

(١) أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥).

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي، ص(٣٠٦)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٩٦).

(٣) إيبيريا أو إيبريا: شبه جزيرة، جنوب غرب أوروبا، تضم إسبانيا والبرتغال، يفصلها عن سائر أوروبا جبال البرانس، وعن شمال أفريقيا مضيق جبل طارق، اشتق اسمها من الإيبريين، وهم شعب قديم هاجر من أفريقيا في العصر الحجري الحديث، وامتزج بالسلتيين (الذين وفدوا على إيبريا بعدهم)، وسميت فاندليسيا، ثم عربت فأصبح اسمها "الأندلس". الموسوعة العربية الميسرة، غربال(١/ ٢٧٦)، دولة الإسلام في الأندلس، عنان (١/ ٥٣، ٨٢)، البيان المغرب، ابن عذاري (٢/ ٢-٣)، نفح الطيب، المقري (١/ ١٣٣-١٣٦).

(٤) الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مارانوس": https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٥) ينظر: الفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية، ترجمة وتقديم وتعليق: نبيل الغندور، ص(١٦٨)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥).

عند البحث والتنقيب «ليست معروفة الأصل على وجه التحديد» [١]، بالإضافة إلى «أن الاختلاف في أصل الكلمة قد صاحبه لغط كبير» [٢]، ولعل هذا يتأكد من خلال استعراض أصول هذه الكلمة في اللغات التي وردت فيها، ومن أبرز الأقوال في ذلك:

١- اللغة العربية: قيل إن أصلها: "مراءٍ"، أو "المُرائِيَ" أي: منافق أو المنافق [٣].

وقيل أصلها: "بران" أو "براني" أي: خارجي [٤] -ولكنه بعيد-.

والبعض يرى أن "مارانو" يرجع إلى الكلمة العربية "محرم" [٥]، ولكن هذا بعيد أيضًا.

ولعل الأقرب -إن سلمنا بعربيتها- أنها ترجع إلى مادة "مَرَن" يقال: مرن يمرن مرونًا ومرانة ومرونة: وهو لين في صلابة، ومرن على الشيء: تعود واستمر عليه، وألفه ودرب عليه [٦]، وهذا مناسب لحال "المارانوس" الذين أظهروا ليونة في إظهار النصرانية، مع صلابة في تمسكهم باليهودية، وتعودوا على ذلك، حتى ألفوه ودربوا عليه، ولم أجد بعد البحث والتقصي من أشار إلى هذا من قبل.

٢- اللغة العبرية: قيل إنها مأخوذة من "مارئيت عيين" أو "مارئيين عيين" ومعناها ظاهر للعين؛ لأن اليهودي يظهر النصرانية ويبطن اليهودية [٧].

(١) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٨).

(٢) اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٠٩).

(٣) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٠).

(٤) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٩).

(٥) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١)، ومن المحتمل أن يكون المراد "العبرية" ووقع الخطأ في الطباعة، وهو الأقرب.

(٦) ينظر مادة "مَرَنَ" في: لسان العرب، ابن منظور(١٣/ ٤٠٣-٤٠)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣١٣- ٣١٤)، القاموس المحيط، الفيروزأبادي ص(١٥٩٢)، المصباح المنير، الفيومي ص(٢٩٣).

(٧) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٩)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١).

وقيل مأخوذة من كلمة "أنوسيم" ومعناها: المضطرون أو المكرهون أو المغلوبون على أمرهم[١]؛ لأن يهود "المارانوس" اضطروا إلى إظهار اعتناقهم للنصرانية خوفًا على حياتهم ومصالحهم وخشية الطرد والإبعاد من بلادهم[٢].

وهو المصطلح -أو التفسير- الذي يفضل استخدامه أحفاد هؤلاء المتنصرين وبعض الباحثين، نظرًا إلى الدلالة المهينة التي تمثلها كلمة "مارانو" في اللغة الإسبانية[٣].

وقيل أصلها يرجع إلى كلمة عبرية وهي: "محوّرام أناه"، والمقصود بها: "أنت مطرود من حظيرة الدين"[٤]، والذي يظهر أن هذه التسمية مصدرها اليهود المخالفون للمارانوس وطريقتهم.

وقيل إن أصل التسمية من الكلمة العبرية "مومار" والمراد بها "مارق"، ثم ألحقت بها ألفاظ من لغات أخرى حتى وصلت إلى "مارانو"[٥].

٣- اللغة الأسبانية: قيل أن كلمة "المارانوس" المراد بها "الخنازير"[٦]وأن "مارانو" أو "مارنو" في الأسبانية القديمة معناها: "الخنزير"[٧].

(١) ينظر: المرجع السابق ص(٢٠)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٩٦).

(٢) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١١).

(٣) ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مارانوس": https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٤) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٩)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١).

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص(٢٠).

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص(٢٠)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٢)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص (٣٤٨).

(٧) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٠)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٩٦).

يقول الدكتور يواقيم رزق مرقس في محاضراته عن الكنيسة الغربية: «وكان لفظ "مارانوس" والذي يعنى "الخنزير" باللغة الإسبانية هو إشارة لمدى احتقار الإسبان لهؤلاء اليهود... الذين أصبحوا مسيحيين مظهرًا، ويهودًا مخبرًا» [١].

كما قيل بأن "مارانوس" في الإسبانية[٢] أيضًا تعني: المنافق، والخائن، والدنيء، واللص، والكذاب، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة[٣].

وقيل ترجع إلى كلمة "ماترانثا" ومعناها: الملعون[٤].

ومما اشتهر به "المارانوس" تسميتهم أيضًا "كونفيرسوس" ومعناها في اللغة الإسبانية "المعتنقين للدين"، أو "المهتدين"[٥].

كما كان يطلق عليهم في إحدى الجزر الإسبانية[٦] لقب "التشوتياس" وتعني بالإسبانية "لحم خنزير".

وآخرون يرون أن الكلمة مأخوذة من كلمة "تشوهينا" وتعني "يهودي"

(١) محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، اليهود ومحاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، مرقس:
http://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_05-Western-Church-History/Church-of-West__50-Al-Yahood-Wa-Mahakem-El-Tafteesh.html

(٢) ويشترك معها في هذا: البرتغالية، والفرنسية كذلك.

(٣) ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا ص (٢٥٧- ٢٥٨)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبد الرازق أسود (١/ ١٩٦).

(٤) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١).

(٥) المرجع السابق، ص(٢٠)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٢).

(٦) وهي جزيرة "مايوركا"، إحدى جزر الباليار يك التابعة لإسبانيا، وتسمى "مينورقا" أو "ميورقا" وتقع في البحر الأبيض المتوسط، وسبق أن تغيرت سيادتها أكثر من مرة بين بريطانيا وفرنسا وإسبانيا، وأعطيت لإسبانيا بصفة نهائية عام (١٨٠٢م).
ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢٠)، الموسوعة العربية الميسرة، غربال (٢/ ١٨٠٩).

بلهجة الجزيرة[١].

٤- اللغة الآرامية: قيل إن أصل كلمة "مارانوس" تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة نصرانية بالآرامية هما "مارن- آث" ومعناها "أنت مولانا" أو "تعال يا ربنا" أو نحو ذلك، والخطاب فيها موجه للمسيح، حيث كان يفرض على اليهودي الأندلسي الأصل أن ينطق بها كثيرًا؛ لإبعاد الشبهة عن نفسه، فأصابها التحريف فصارتا "ماراناس"، ثم "مارانوس"[٢].

٥- اللغة البرتغالية: سبقت الإشارة إلى أن كلمة "مارانوس" في اللغة البرتغالية وغيرها تعني: المنافق، والخائن، والدنيء، واللص، والكذاب، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة[٣]. وربما أطلق عليهم عبارة "كريستاوس نوفوس" عند البرتغاليين، ومعناها: "النصارى الجدد" [٤]. كما أطلق عليهم اسم "البرتغاليين" بعد هجرتهم من إسبانيا والبرتغال إلى دول أوربا الأخرى[٥].

ومن خلال ما سبق يتبين أن هذا المصطلح يدور في الغالب حول معانٍ تتضمن القدح والذم والإهانة، وتحمل في طياتها نظرة ازدراء واحتقار، ونبرة عداء واستفزاز. وأحيانًا تكون تعبيرًا عن حال أتباعه، ووصفًا لحقيقتهم وما هم عليه.

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢٠)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٢).

(٢) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢٠)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١١٠-١١١)، دائرة المعارف الكتابية، مادة "ماران أثا"، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٩٦).

(٣) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢١)، ويتفق معها في ذلك اللغة الإسبانية والفرنسية.

(٤) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٣٤٨)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢٠)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٩٦).

(٥) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية (٣/ ٣٦٣).

وعلى كل حال يظل هذا المصطلح وهذه الكلمة حمّالة أوجه مختلفة ومتباينة نتيجة الاضطراب في حقيقة أصلها اللغوي وأصل اشتقاقها بعد ذلك، إلا أن دائرة اختلافها اللغوي تضيق حتى تتفق في مرادها ومقصودها الاصطلاحي كما تم بيانه.

المطلب الثاني: نشأة "المارانوس".

لما كان ظهور "المارانوس" ونشأتهم مرتبطًا بالظروف والأحداث التي عايشوها والبيئات التي كانوا فيها كان لا بد من تسليط الضوء على الجوانب التاريخية ذات العلاقة بنشأتهم؛ لارتباطها الوثيق بذلك.

وحتى تتجلى عوامل نشأة "المارانوس" لعل من المناسب أن يكون الكلام عن ذلك من خلال ثلاثة محاور:

١. يهود الأندلس قبل الفتح الإسلامي.
٢. يهود الأندلس إبان الحكم الإسلامي.
٣. يهود الأندلس بعد الحكم الإسلامي.

والكلام عنها بإيجاز يأتي على النحو الآتي:

١- يهود الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

توالت دول متعددة على حكم فلسطين منذ خراب القدس (أورشليم) الأول عام: (٥٨٦ ق.م). على يد "بختنصر"[(١)][(٢)]، إلى خرابها الثاني عام (٧٠ م)[(٣)]، وكانت

(١) **بختنصر**: نبوخذ نصر بن نبوبلاسر: ملك بابل من (٦٥٠ وحتى ٥٦٢ ق.م)، أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا، وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم فحسب، بل قتل ملكهم وساق كبراءهم أسرى إلى بابل سنة (٥٨٧ ق.م)، وكانت وفاته في: (٥٦٢ ق.م).
ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال ، ص(١٨٢١)، وقاموس الكتاب المقدس، ، نخبة من اللاهوتيين ص(٩٥٤-٩٥٥).

(٢) ينظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص(٢٩٠-٢٩٧).

(٣) وقد كان خرابها الثاني على يد القائد "تيطس" أو "تيطوس". ينظر: اليهود فتنة التاريخ، لماهر آغا، ص(٨٠) ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص(٤٢).

مجموعة كبيرة من التجار اليهود آن ذلك وقبله قد استوطنت في بعض المناطق من القارة الأوروبية، فكان دخولهم إليها سابقًا لدخول النصرانية[١].

وبعد الخراب الثاني عام (٧٠م)، ثم ما تلاه بعد ذلك من السبي الثاني لليهود في عام: (١٣٢م)[٢]، تشرد اليهود وتفرقوا في أنحاء متعددة من الأرض، وقد وصل بعضهم إلى شبه الجزيرة الإيبيرية واستقروا بها.

يقول أحد مؤرخيهم عن هذه الحقبة التاريخية: «إلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب "أورشليم" تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوا أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء، فإن الرومانيين حظروا عليهم دخول "أورشليم"... وكان من بين البلاد التي استوطنها اليهود شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال) »[٣].

بل كان من أكبر الجاليات اليهودية تلك التي عاشت فيما عرف لاحقًا بالأندلس.

وعندما دخلت النصرانية أوروبا بدأ العداء بين اليهود والنصارى الذي اشتد باعتناق الإمبراطور "قسطنطين"[٤] النصرانية في القرن الرابع الميلادي، في ذلك

(١) ينظر: اليهود في الأندلس، محمد بحر عبدالمجيد، ص(٦).

(٢) وقيل سنة (١٣٥م)، وكان ذلك على يد القائد الروماني المعروف بأدريان أو هدريان واسمه "ببليوس هدريانوس".
ينظر: تاريخ بين إسرائيل من أسفارهم، ص(٣٨١)، السبي الأخير لبني إسرائيل، ص(١٤٢).

(٣) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(٩٧).

(٤) **قسطنطين الأول:** أو الكبير ابن قسطانش الأول، ولُد سنة(٢٨٠م)، ونشأ في حاشية الإمبراطور الروماني، والتحق بالجيش في سن (١٥) من عمره، ثم أصبح قائداً وعمره (١٨) سنة، ثم استقل بالسلطة بعد صراع عسكري عنيف سنة (٣٢٤م)، أظهر اهتمامًا بالنصرانية، إلا أنه لم يعمّد إلا وهو على فراش الموت، وهو الذي دعا إلى عقد أول مجمع مسكوني للنصرانية في نيقية عام (٣٢٥م)، كما قام بنقل عاصمته إلى بيزنطة التي أعاد بناءها وسماها القسطنطينية في (٣٣٠م)، وتوفي في (٣٣٧م) بالحمى، ودُفن في إحدى الكنائس، واتُخذ له تمثال.
ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال، لغربال (٢/ ١٣٨٠)، الإمبراطورية البيزنطية، عبد القادر أحمد يوسف ص(١٢)، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ص(٤٣٠-٤٣١).

الوقت شعر النصارى بخطر اليهود عليهم وعلى دينهم، حيث عارضوا احتكار اليهود للثروة وجمع المال وأمور الربا الفاحش التي مارسوها إلى جانب الرشوة. فعاملوا اليهود كجالية تفرض عليها الضرائب، كما سنوا عدة قوانين تفرق اليهود وغيرهم[١]، وقد باركت الكنيسة ذلك، وهدفها محاولة تنصيرهم[٢].

ومما يؤكد ذلك ويبينه صدور عدة قرارات من الجانب النصراني تمنع استخدام اليهود في الأعمال، وتؤكد ضرورة عتق أي عبد نصراني يملكه يهودي، إضافة إلى منع زواج النصرانيات باليهود، وكذلك منع الختان مع حرمان اليهود من مزاولة شعائرهم وطقوسهم الدينية.

وبالطبع كانت هذه القرارات تسري على اليهود المقيمين داخل شبه جزيرة أيبيريا، وكان يهود تلك الجزيرة كتلة كبيرة عاملة، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل، يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد، وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود، وتتوسل إلى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة، فصدرت قرارات بحرق وقتل ورجم كل من يؤدي شعائر غير نصرانية، مما اضطر بعض اليهود إلى اعتناق النصرانية، ومنهم من لم يعتنقها، لكن الثابت أن نسبة منهم اعتنقوا النصرانية كرهًا ورياءً[٣].

ومن خلال ما سبق يتبين أن هناك إرهاصات حقيقية مهدت لظهور اليهود "المارانوس"، بل كانوا موجودين، ولكن بقلة؛ ولذا لم يكن ذلك المسمى معروفًا حينئذ.

وعليه فيُعدّ أولئك اليهود الذي أظهروا النصرانية وأبطنوا اليهودية مكرهين

(١) ينظر: اليهود في الأندلس، ص(١٠-١١).
(٢) ينظر: أهل الذمة في الأندلس، ص(٢٧).
(٣) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، عنان ص(٣١) اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(٩٧)، أهل الذمة في الأندلس، ص(٢٧).

مضطرين قبل دخول المسلمين للأندلس نواةً ليهود "المارانوس" فيما بعد كما سيأتي.

وهذا ما يؤكده أحد علماء الدين اليهودي مشيرًا إلى أن للتنصر اليهودي جذورًا قديمة في إسبانيا منذ الحكم النصراني السابق للإسلام(١).

٢- اليهود في الأندلس إبان الحكم الإسلامي:

فتح المسلمون الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة(٢)، ولقي هذا الفتح ترحيبًا كبيرًا من جانب اليهود نتيجة لتلك الظروف التي عانوا منها والمعاملة التي كانوا يلقونها من الجانب النصراني(٣).

ولم يثبت تاريخيًا من خلال المصادر والمراجع المعتمدة سواء العربية أو الغربية أن اليهود أعانوا أو قدموا أي مساعدة للفاتحين من المسلمين عند فتح بلاد الأندلس(٤).

---

(١) ينظر: بابوات من الحي اليهودي، يوكايم برنز، ص(٤٦، ٤٧)، نقلًا عن: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٢٣).

(٢) كان فتح الأندلس على يد طارق بن زياد، وقيل ابن عمرو الذي كان عاملًا لوالي القيروان موسى بن نصير. ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص(٣٢)، البيان المغرب، ابن عذاري (٢/ ٣-٦)، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى (١/ ١٥٣-١٥٤).

(٣) ينظر: اليهود في الأندلس، ص(٢١).

(٤) وذلك خلافًا لما زعمه "ول ديورانت" في قصة الحضارة (١٣/ ٥٠)، ومن وافقه من الباحثين المعاصرين كما في: اليهود في الأندلس، ص(١٣،٢٠)، الفتوحات الإسلامية، رينوجوزيف، ص(٤١)، تاريخ إسبانيا الإسلامية(١/ ٨٢)، أهل الذمة في الأندلس، ص(٢٨)، وأسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(١١)، وقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب (٢/ ١٢) انضمام اليهود إلى الجيوش العربية لحراسة الحصون!!، ولعل هذا كان بعد الفتح؛ فحراسة الحصون تكون مرحلة تالية لبدايات الفتح والانتصار.

يؤكد هذا ما قاله أحد المؤرخين اليهود: « ليس من المؤكد أن اليهود قدموا أي مساعدات للغزاة كلية، وقد ابتهج اليهود بطبيعة الحال لهذا الفتح، فقد نال اليهود الحرية في إقامة شعائر دينية طبقًا لشريعتهم وكذلك كان هذا حق النصارى، فقد احترم الحكام (أي المسلمون) حقوق الناس في ممتلكاتهم، إلا أن غاية ما يقال في هذا الموضوع أن اليهود الذين عاشوا تحت ظل القهر والظلم والاضطهاد في إسبانيا كانوا يتمنون من كل أعماقهم هزيمة نصارى القوط في إسبانيا وانتصار الإسلام؛ لما كانوا يسمعونه عن تعايش اليهود السلمي مع المسلمين في الأقطار التي تم فتحها ووقعت تحت الحكم الإسلامي العادل، وهذا ما تم لهم بالفعل=

وإنما الثابت حقًا دون مرية أن الفتح الإسلامي لشبه جزية أيبيريا (الأندلس) كان فاتحة عصر جديدة لتلك البلاد وما جاورها من البلدان الأوربية التي كانت تعيش في تيه من الظلمات والجهل والتخلف، حيث بدأ التطور العظيم يشمل جميع مناحي الحياة العامة وفي جميع نظمها الاجتماعية، ومن ثم انعكس هذا الفتح على يهود إسبانيا حيث لم يشهد تاريخ الشتات اليهودي في جميع بقاع الأرض ما شهده يهود الأندلس من أمن وأمان واستقرار ورخاء وازدهار على جميع المستويات الحياتية، سواء الاقتصادي منها أو الثقافي أو الحريات الدينية وذلك باعتراف اليهود أنفسهم.

يقول "ماكس مارجوليز" و"ألكسندر ماركس" وهما يهوديان: «كان من المؤكد أن هذا التغيير (أي: الفتح الإسلامي) قد أحدث عند اليهود رخاءً وظهر كثيرون منهم في قوة اعتداد، كان العصر الزاهي الذي ازدهر من حكام بني أمية... قد جعل المملكة أزهى دولة في أوروبا وأصبحت العاصمة (قرطبة) مثلًا عظيمًا للعلم... وقد اشترك اليهود في هذا النشاط فتقدموا في حماس إلى هذا البحر الزاخر المليء بالعلوم واكتسبوا منه روحًا يحيون بها أرواحهم، وهكذا أخذ ضوء العلم اليهودي الذي كاد يختنق في أقصى الشرق يشتعل من جديد في الغرب، فعندما تحطم المركز البابلي بدأ المركز التقدمي يظهر على اليهودية الإسبانية لتبقى خمسمئة عام...» [(١)].

ومن خلال حقوق أهل الذمة والمعاهدين التي كفلها لهم الدين الإسلامي والتي لا يوجد له نظير في الديانات الأخرى وباعتراف كثير من الغربيين انتعش حال اليهود في بلاد الأندلس، وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للتعامل السمح

=بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس».

ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(٩٩).

(١) تاريخ الشعب اليهودي، ص(٥٥)، نقلًا عن: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٠٠)، بتصرف.

الذي تمتع به اليهود في ظل الحكم الإسلامي الرشيد[١].

وفي ذلك يقول "مارك كوهين" أستاذ دراسات الشرق الأدنى والتاريخ بجامعة برنستون بأمريكا بولاية نيوجرسي: «تمتع اليهود والنصارى الذين عاشوا في العالم الإسلامي (وفي بلاد الأندلس) بتسامح شرعي...، وليس من المدهش أن اليهود الذين عاشوا في الأراضي الإسلامية في العصور الوسطى لم يحفظوا أيّة ذاكرة جماعية عن عنف قام به مسلمون ضد اليهود، وهذا على خلاف شديد مع إخوانهم الذين عاشوا في الأراضي النصرانية والذين رسموا تاريخهم على شكل سلسلة طويلة من المعاناة والاضطهاد.

لقد عاش اليهود في القرون الكلاسيكية (أي: القرون الوسطى) في ظل الحكم الإسلامي في بلاد الأندلس فترة ازدهار أمني واقتصادي وثقافي، ولهذا وذاك، وبالإضافة إلى الاندماج الكامل الذي تمتع به اليهود في تلك القرون، كل ذلك جعلهم ينفتحون ويشتركون في ثقافة جيرانهم العرب المسلمين في تلك الحقبة الرائعة في التاريخ اليهودي»[٢].

ومهما يكن من أمر فإن «تلك الفترة التي عاشها اليهود في الأندلس في ظل الإسلام أطلق عليها اليهود العصر الذهبي؛ وذلك لازدهار اللغة العبرية وآدابها فيها، حيث استطاع اليهود -في هذه الفترة- أن يؤلفوا كتبًا ما زالت تعد من أمهات الكتب في اللغة العبرية وآدابها، ولم يكن هذا الازدهار الفكري بين اليهود إلا ثمرة من ثمار الحرية السياسية والاقتصادية والأدبية التي حظي بها اليهود تحت حكم العرب الفاتحين للأندلس، وطوال العهد الإسلامي لم يتم اضطهاد اليهود المقيمين،

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٠٠).

(٢) مقالة نشرت باللغة الألمانية في صحيفة فرانكفورتر بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٣م، ثم ترجمت إلى الإنجليزية ومن ثم إلى العربية بواسطة الأستاذ كامل الزيادي، نقلًا عن: اليهود المتخفون، عبر التاريخ، ص(١٠١)، وينظر كذلك: أهل الذمة في الأندلس، ص(٢٨-٢٩)، اليهود في الأندلس، ص(٢١-٢٣).

أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، ولم يقف ذلك عند حد حرية العبادة، بل تعداها إلى حرية العمل والتملك والحياة الحرة الكريمة»[١].

وهكذا نجد أن يهود الأندلس قد عاشوا في ظل الحكم الإسلامي فترة من أزهى وأروع فترات تاريخهم كما اعترف بذلك كثير من كتّابهم ومؤرخيهم ومؤرخي النصارى.

يقول "ول ديورانت"[٢]: «وكانت هذه القرون الثلاثة –العاشر والحادي عشر، والثاني عشر (الميلادية) هي العصر الذهبي ليهود إسبانيا، وأسعد عصور التاريخ العبري الوسيط وأعظمها ثمرة»[٣].

لقد حظي أهل الذمة بالأندلس بقسط وافر من الحرية، وبخاصة فيما يتعلق بإقامة الشعائر الدينية، وضمان العيش الكريم[٤].

ومع أن هذه المرحلة ليس فيها من العوامل والظروف ما يجعل اليهود يتمرسون بإظهار النصرانية وإبطان اليهودية، إلا أن أهميتها تتركز في كونها استقطبت اليهود من أنحاء العالم؛ نظرًا إلى ما كان يتمتع به إخوانهم في العقيدة اليهودية من الحرية الدينية والحقوق الدنيوية؛ ولهذا عرفت تلك الحقبة الزمنية بالهجرات اليهودية إلى بلاد الأندلس، يدل على ذلك أعداد اليهود الضخمة في الهجرات المعاكسة من بلاد الأندلس بعد سقوطها من أيدي المسلمين[٥].

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(١٤).

(٢) **ول ديورَانت:** فيلسوف مؤرخ وكاتب أمريكي، ولد سنة (١٨٨٥م) تلقى تعليما كاثوليكيًا، ولكنه تعرض لحالة تحول جذري فاتجه إلى الفلسفة ونال فيها الدكتوراه عام (١٩١٧م)، وكان أستاذًا في جامعة كولومبيا، من أشهر مؤلفاته: كتاب قصة الحضارة، وكتاب قصة الفلسفة، توفي سنة (١٩٨١م) وهو في السادسة والتسعين من عمره.

ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مارانوس": https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٣) قصة الحضارة، ديورانت (١٤/ ٥٣)، وينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٠٦).

(٤) ينظر: أهل الذمة في الأندلس، ص(١١، ٢٦).

(٥) ينظر: من مظاهر الحفاظ على التراث الحضاري الأندلسي لبعض الأسر اليهودية بالمغرب، د. أحمد شحلان، ص(١).

ولهذا بات من المؤكد أنه قد زاد عدد أفراد هذه الطائفة بعد الفتح الإسلامي بشكل ملحوظ بفعل هجرة اليهود من مختلف المناطق للاستقرار بالأندلس، فمنذ الفتح صرفوا همهم للمجيء إليها[١]، وبفضل المسلمين أصبحت الأندلس منطقة جذب لليهود، بعد ما عانوا من ظلم واضطهاد على يد القوط[٢][٣].

٣- اليهود في الأندلس بعد الحكم الإسلامي:

خرج المسلمون من الأندلس بعد أن بقي الإسلام فيها ثمانية قرون وذلك في عام ٨٩٧هـ[٤]، في معاهدة متخاذلة خائنة[٥]،حيث تم تسليم غرناطة وتوابعها للنصارى وأخرج المسلمون منها وهجروا عنوة، ونقضت المعاهدة بندًا بندًا[٦].

وبعد انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس وبداية الحكم النصراني الكاثوليكي تكونت فيها عدة ممالك، وفي سبيل تحقيق اليهود لمصالحهم قاموا بمد يد المساعدة للنصارى من أجل استعادة إسبانيا والتخلص من الحكم الإسلامي، باعتباره حربًا مقدسة، الأمر الذي جعل النصارى يوطنون اليهود في المدن المفتوحة، بينما كانوا يطردون المسلمين منها، لكن عندما قوي أمر النصرانية الكاثوليكية في البلاد، ونجحت في طرد المسلمين، وإبعاد الإسلام منها، ازداد الصراع بين اليهود وكل ما هو نصراني كاثوليكي[٧].

(١) ينظر: بيوتات فاس الكبرى، ص(٢٢-٢٣).

(٢) **القوط:** هي مملكة جرمانية سيطرت على شبه جزيرة أيبيريا وعلى ما يعرف الآن بجنوب غرب فرنسا منذ القرن الخامس وحتى القرن الثامن الميلادي، وهي إحدى الدول الجرمانية التي استقلت عن الإمبراطورية الرومانية الغربية، نشأت تلك المملكة بعدما أسكنت الحكومة الرومانية القوط الغربيين بقيادة الملك فاليا في إقليم أقطانية جنوب غرب فرنسا، ثم توسعت بعد ذلك واحتلت كل شبه جزيرة أيبيريا.
ينظر: الموسوعة العربية (١٥/ ٦٧٥).

(٣) ينظر: فجر الأندلس، ص(٥٢٤)، وينظر للتوسع: أهل الذمة بالأندلس، ص(٤٨-٥١).

(٤) وكان ذلك في آخر دولة بني الأحمر.

(٥) ينظر: نفح الطيب، المقري (٦١/ ٢٢)، (٤/ ٥٢٥)، أزهار الرياض (١/ ٦٥، ٦٦).

(٦) ينظر: الصراع العقائدي في الأندلس، د. خالد بن ناصر الغامدي، ص(٣٣).

(٧) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(١٥).

ثم بدأت تتوالى سلسلة من الاضطهادات ضد اليهود في الأندلس، وذلك يرجع إلى سببين رئيسين، وهما:

* سبب اقتصادي وتمثل في تعامل اليهود بالربا مع النصارى وسيطرتهم على الاقتصاد في البلاد؛ مما أثار الأحقاد في الصدور ضدهم، وكان اليهود الذين يشغلون مناصب رسمية، وخاصة في المصالح المالية هدفًا طبيعيًا للإقصاء والاضطهاد.

* أما السبب الثاني فهو ديني: يرجع إلى طبيعة الدين اليهودي، وتعاليمه وشعائره التي كانت تخالف كثيرًا من تعاليم النصرانية وشرائعها، "فأصبح كل ما هو يهودي بغيضًا لبعض النصارى، وكل ما هو نصراني بغيضًا لبعض اليهود، فأخذ النصارى يعيبون على اليهود عزلتهم ولم يغفروا لهم هذه العزلة التي كانت رد فعل لتمييز غيرهم عليهم، وما كان يوجه إليهم من اعتداء في بعض الأحياء، وبدت ملامح اليهود، ولغتهم وآدابهم وأطعمتهم، وشعائرهم، بدت كلها في أعين النصارى غريبة وكريهة، ولم تكن الشريعة اليهودية تبيح لليهود أن يأكلوا طعامًا مسته يد غير يهودية، وخاصة من النصارى، إلى جانب قواعد أخرى اعتبرها كثير من النصارى أنها إساءة لهم، ثم تتطور هذا الأمر واشتد الغضب على اليهود في إسبانيا وبدأت حملات التطهير الديني ومحاكم التحقيق التي تسمى (التفتيش)، وذلك للضغط على اليهود حتى يعتنقوا النصرانية ويحملهم عليها قسرًا، وقد خيّروا بين اعتناق النصرانية وتعميدهم في الكنائس النصرانية، أو القتل والإبعاد.

يقول "ول ديورانت": «لقد ابتدع بعض القساوسة، والأفراد، والنبلاء وكبار الأشراف أساليب تتنافى مع الدين ضد اليهود خداعًا منهم وتضليلًا، فحرموهم بلا حق من أملاكهم قوة واقتدارًا، واستولوا عليها لأنفسهم، واتهموهم زورًا وبهتانًا بجرائم عديدة، وبسبب هذه التهم المختلفة وأمثالها تمتلئ قلوبهم حقدًا وغلًا على اليهود، فينهبون أموالهم، ويضطهدونهم بتجويعهم، وسجنهم، وتعذيبهم، وإيذائهم بغير تلك الوسائل، ويقضون عليهم أحيانًا بالإعدام، وبذلك أصبحت حال اليهود

أسوأ مما كان عليه آباؤهم تحت حكم الفراعنة، وهم لهذا اضطروا إلى مغادرة البلاد التي عاش فيها آباؤهم من أقدم العهود، ومن اضطر منهم للبقاء في بلاد الأندلس تنصروا تقيّة، أي: أظهروا النصرانية وأخفوا يهوديتهم، وهم من أُطلق عليهم اليهود المتخفين أو (المارانوس)»[1].

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٠٧- ١٠٨)، بتصرف يسير.

المبحث الثاني
"المارانوس" الظاهر والباطن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: "المارانوس" والظاهر النصراني.

نظرًا إلى الظروف التي عاشها يهود "المارانوس" وعانوا منها اضطروا -كما ذُكر سابقًا- إلى إظهار النصرانية اعتقادًا وقولًا وعملًا، ولذا أعلنوا اعتناقهم للمعتقدات النصرانية ومارسوا الطقوس والشعائر النصرانية كذلك، وازداد إشهارهم وإظهارهم لذلك مع ازدياد التضييق والتشديد عليهم.

ومما أظهره "المارانوس" اضطرارًا تعميد[١] أطفالهم وفق ما تمليه وتبرره العقيدة النصرانية، وبما أن التعميد يعتبر ميلادًا جديدًا، كان يُعطى النصراني الجديد اسمًا نصرانيًا جديدًا غير مسماه اليهودي القديم[٢]؛ وما ذاك إلا لاستكمال قطع علاقته بدينه السابق، مما أدَّى إلى قطع بعض أولئك كل صلة مع اليهود واليهودية، وتبعًا لذلك تنوَّعت وتفاوتت درجة التمسك باليهودية بين صفوف اليهود المتنصرين.

ويتضح من الممارسات الدينية التي قام بها المتنصرون اليهود في المجتمع الأندلسي مدى سعي العنصر اليهودي إلى تحقيق مصالحه ولو كان ذلك على حساب عقيدته ودينه.

---

(١) **التّعميد:** هو مفتاح الدخول في النصرانية، فمن لم يُعمَّد فليس نصرانيًّا عندهم ولو كان من أبوين نصرانيين، ويختلفون في طريقة ذلك، فبعضهم يكتفي برش الماء على الجبهة، وبعضهم يرى وجوب انغماس جزء كامل من الجسم في الماء، وآخرون يرون وجوب انغماس الجسم كله في الماء، ومرادهم بالتّعميد أن يكون الإنسان طاهرًا مُبرءًا من الذنوب، ويشترطون أن يتم التّعميد في كنيسة وعلى يد كاهن، ويمكن أن يُعمَّد الشخص وهو طفل أو في أي وقت من حياته، كما يمكن أن يعمَّد وهو على فراش الموت. ينظر: يسوع المسيح، بولس إلياس، ص(٢١٠)، تاريخ الأقباط، ص(٨)، نقلًا عن: المسيحية، د. أحمد شلبي، ص(١٧١-١٧٣)، معجم اللاهوت الكتابي، ص(٧٠٠، ٧٥٤-٧٥٦)، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، ص(٢٣٩-٢٤٠)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف ص(٢٩٠).

(٢) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٠).

فقد مارس "المارانوس" الذين تحولوا إلى النصرانية جميع الشعائر التي تقتضيها الديانة النصرانية في العلن، محاولة منهم لإظهار صدق تنصرهم، فكانوا يُعمّدون أطفالهم بحسب التقليد النصراني، ويذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد، ويذهبون للاعتراف دون أن يُدلوا بأيّة اعترافات حقيقية، وكانوا يتناولون القربان في الكنيسة ثم يبصقونه خارجها[١].

أما إجراءات التعميد التي مارسها النصارى فتمثَّلت في الآتي:

- كان الكاهن يقوم بالنَّفخ في وجه المتنصِّر كما نفخ المسيح روح القدس في حواريِّيه.
- ثم يشير كل متنصِّر إشارة الصليب على جبهته وكتفيه.
- ثم تُتلى صلاة القربان المقدس.
- ثم يوضع في أفواه المتنصِّرين ملح، وهم يقصدون به ملح الحكمة المقدس، وذلك حتى يكتسب المعتنِق الجديد المناعة والقوة التي تساعده على مقاومة الفساد -بحسب اعتقادهم-.
- وبعد ذلك يقوم المتنصِّر المعمَّد بالركوع من أجل الاستغفار.
- ثم يستعدُّون لمغادرة الكنيسة فيتناولون الخبز والخمر على المذبح.
- ثم يتناولون العشاء الرباني[٢] المقدس.

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥٤)، وينظر كذلك: ص(٨٠) من المصدر ذاته.

(٢) **العشاء الرباني:** من الشعائر والعبادات النصرانية، ويسمى بأسماء كثيرة منها (الأفخارستيا) أي الشكر و(الليتورجيا) أي الخدمة، أو القربان المقدس، أو ذبيحة القداس، أو التناول، وتستند النصرانية في إقرار هذه الشريعة إلى العشاء الذي تناوله المسيح مع تلاميذه قبيل حادثة الصلب، فقد قال لهم وهو يناولهم الخبز: "هذا هو جسدي"، ولما ناولهم الخمر قال: "هذا هو دمي". مرقس (١٤:٢٢-٢٤)، وقد اختلفت الكنائس النصرانية في فاعلية العشاء الرباني، بينما ذكر المحققون من البروتستانت أن هذه الفكرة المناقضة للعقل والحس مبتدعة لا تجد لها أثرًا عند الآباء الأقدمين. وتنبه المحققون إلى مصدر هذه الفكرة الغريبة،=

- وبالنسبة إلى عقيدة النصراني فإن كل شخص غير معمَّد يكون جسمه مكانًا لسكن الشيطان وبعد التعميد يصبح مسكنًا للمُخلِّص يسوع[١].

ولأن النصارى لا يثقون ثقة تامة في تحول اليهودي إلى ديانتهم النصرانية فمن قبيل الاحتياط «عمدت الكنيسة إلى إقامة بعض الطقوس الخاصة لحفلة التحويل، خصوصًا عند تحويل اليهود، ولذلك ألزمت الكنيسة المتحوِّل من اليهودية إلى النصرانية بأداء قسم معين وهو كالتالي:

- أقسم قسمًا مغلظًا أنني أعتقد بأن الضحايا المسجلة في العهد القديم، ما هي إلا بشائر للتضحية المقدسة الكبرى للمسيح، كما عاناها على الصليب.

- أقسم أن قضية خلاص[٢] الإنسان من خلال المسيح، قد أعلن عنها الرب في وعده لإبراهيم والرسل الآخرين، وأن هذا الأمر لم يُعِرْه الإسرائيليون أي اهتمام، بل على العكس صلبوا المخلِّص المنتظَر، وهو المسيح نفسه.

- أقسم أني إن انحزت أو تزحزحت عن هذا الإيمان الحقيقي، وهو إيمان الكنيسة الكاثوليكية، بأني أستحق الموت.

- أقسم أني عن طيب خاطر، وبشكل طوعي، ومن كل قلبي، وروحي، وقدرتي أقبل شريعة المسيح وأرفض كل شريعة ما عداها، وأنه طبقًا لديني القديم الذي

=فهي وثنية المنشأ، صنعتها العديد من الأمم الوثنية، ومنهم الفرس الذين اعتقدوا أن متراس يمنح البركة للخبز والخمر في العشاء. ينظر: المحيط الجامع، الخوري ص(٨٥-٨٩)، إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ٢٤٠)، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، ص(٢٤١-٢٤٣)، المسيحية، د. أحمد شلبي، ص(١٧٣-١٧٤)، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، ص(١٩٨-٢٠٠).

(١) ينظر: بابوات الحي اليهودي، ص(٥٠).

(٢) **الخلاص**: عقيدة الخلاص النصراني النصرانية التي هي من وضع بولس، قائمة على أسس باطلة، وهي أن آدم عليه السلام أخطأ، وهذه الخطيئة انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه، والطريق الوحيد للخلاص منها ما زعموه من أن الله نزل وتجسَّد في صورة بشرية ليصلب، ويتغلَّب على الموت فيقوم، وبذلك ينال الخلاص. ينظر: الخلاص المسيحي، ص(٧٥٥)، المحيط الجامع، الخوري ص(٣٢١-٣٢٦)، المسيح المخلص في المصادر اليهودية والنصرانية، ص(١٦-٢٦).

وُضع في العهد القديم يلزم شاهدان أو ثلاثة لإقرار الحق، وإزهاق الباطل، ولكن حقيقة المسيح قد أثبتها اثنا عشر شاهدًا، وهم حواريو المسيح الاثنا عشر.

– أقسم أنه مع أن شعبي وأنا قد رفضنا المسيح سابقًا، إلا أننا قد قبلناه في مجده وعلاه.

– أقسم أنني أعتقد الآن أن مجيء المسيح قد ثبت بشهادة التوراة والأنبياء.

– أقسم أنني أرفض شرائع ومبادئ اليهود، وسوف لن أرفض تناول الأطعمة، التي حرمتها الشريعة اليهودية، ما لم يكن تجنبها أمرًا طبيعيًا غير صادر عن الخرافات والأساطير القديمة.

– أقسم أنني من الآن فصاعدًا، سوف أمتنع عن الاتصال باليهود الذين لم يتحوَّلوا بعد.

– أقسم أنني سوف لا أقترب من الكنيس اليهودي، وبالتأكيد ألا أدخل أي بيت يهودي للعبادة، بل أوجِّه خطواتي نحو طريق آخر حتى لا أمر ببيت العبادة ذاك.

– أقسم أن كل ما قلته في هذا القسم صحيح بالنسبة لنفسي وبالنسبة لأفراد عائلتي[(١)].

ونظرًا لازدواج شخصيات المتنصِّرين فقد ازدَوَجَت ممارستهم للعبادة، ويظهر ذلك من خلال حرصهم على الذهاب إلى الكنائس النصرانية، والصلاة التي يؤدونها فيها، وتناولهم الخبز الكنسي، وإظهار ولائهم الكامل للقسيسين[(٢)] والأساقفة[(٣)]،

(١) بابوات من الحي اليهودي، لبرزن يواكيم، ص(٥٧-٥٨).

(٢) **قسيس**: بالكسر وأصله من قس إذا تتبع الشيء فطلبه، عالم النصارى والمرشد لهم، ويجمع بالواو والنون تغليبًا (قسيسون)، لجانب الاسمية، و(القَسُّ) لغة فيه، وجمعه (قساوسة)، و(قُسُوسٌ). ينظر: تاريخ ابن البطريق (١/ ٩٥-٩٦)، العين، الفراهيدي (٥/ ١٢)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(٥/ ٩-١٠)، المصباح المنير، الفيومي ص(٢٦٠)، مختار الصحاح، الرازي ص(٢٩١)، القاموس المحيط، الفيروزأبادي ص(٧٢٩)، المنجد في اللغة والأعلام، معلوف ص(٦٢٧)، المنجد الأبجدي، ص(٧٩٨).

(٣) **الأسقف**: أصلها يونانية (أيسكوبوس) ومعناها مشرف، وكانت تستخدم أحيانًا لدى الجماعات الوثنية كمرادف لكلمة مندوب أو وكيل، والأسقف رُتبة دينية عند النصارى فوق رُتبة القسيس ودون رتبة البطريك. =

وفي الوقت نفسه كانوا يحرصون على أداء شعائرهم اليهودية داخل بيوتهم، ويوقدون شموع السبت، ويحتفلون بالأعياد اليهودية، حتى بات من الصعب كشف هويتهم الدينية»[١].

وإمعانًا من النصارى في عدم رجوع اليهودي إلى ديانته اخترعوا وثيقة تسمى (البالستيوم)[٢] وهي التي توجب على كل يهودي تحوَّل إلى النصرانية أو تعمّد بالمعمودية أن يُوقِّع عليها، وإذا حاول اليهودي وعاد واشترك في عيد الفصح اليهودي فكان يعاقب بجلده مئة سوط مع مصادرة أملاكه وربما النفي من البلادِ، لذلك فإن تلك الوثيقة تقول: «أتعهد أنني لن أدنِّس أو أهجُر الدين النصراني المقدس، الذي قد قبلته من خلال ماء التعميد، وسوف لن أخالفه لا بالأقوال ولا بالأفعال، ولن أسبِّب له أية إهانة أو إساءة علنية أو سرية، ولن أزوغ عن التعميد الحقيقي، لا بالهرب ولا بالاختباء، ولن أفكر في حياتي بالرجوع إلى الأخطاء الماضية، ولن أحاول أن أتَمَلَّص من الالتزامات التي أتعهد بإنجازها بإخلاص، وأثبتها بتوقيعي الخاص في أسفل هذا التصريح، ولن أحاول إخفاء أي شخص يتورَّط في عمل المحرمات الممنوعة ولا العادات والتقاليد اليهودية الشيطانية، وأعِدُ أن أسلِّم هذا الشخص إلى السلطات الكنسِيَّة، وأن أُعلِم وأُخطِر هذه السلطات عن أيَّة إشاعة تشير إلى مكان اختباء هذا الشخص، وإني على تمام العلم أن أيَّ خرق أو تدنيس لهذه الالتزامات التي تعهدت بها أستحق عليه عقوبة الموت، ولن أحتفل بعيد الفصح اليهودي، ولا أي عيد يهودي آخر، ولن أتزوج أية امرأة يهودية غير معمَّدة، وأن

=ينظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٩٦٧)، أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيد ياكون حبيب، (ص ١٨٤)، قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين (ص ٧٢).

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥٧).

(٢) لم أجد بعد البحث في المظان المتخصصة أصلًا لكلمة ومصطلح "البالستيوم"، فأوردته كما ورد في المراجع والمصادر التي جاء فيها.

أمتنع عن تناول أي طعام أو التزام بأي نوع من المآكل عدا المآكل والأطعمة النصرانية» [١].

هذه هي تلك العهود والمواثيق التي أخذها النصارى على كل يهودي يتحول إلى الديانة النصرانية، وهي تشمل جميع طقوس وشعائر النصرانية، بل تعداها إلى كافة جوانب الحياة، من حيث السلوك والأخلاق بحيث يمتنع المتحول اليهودي من الاتصال من قريب أو بعيد بدينه القديم، وتتم إحاطته بسياج من حديد عن طريق التعاليم الصارمة الواجبة التنفيذ، ويتعرض كل من يخالف تلك التعاليم إلى عقوبة الإعدام أو الحرق أو النفي من البلاد[٢].

وعلى الرغم من تلك التعهدات والالتزامات إلا أن اليهود المتنصرين لم يلتزموا بها ببراعة، فقد اتضح من فحص عدد من الوثائق الخاصة بمحاكم التحقيق، (التفتيش)، ووثائق أخرى أن عددًا كبيرًا من النصارى الجدُد ظلُّوا متمسكين بعقيدتهم، ونجحوا في إقامة حياة يهودية سرية في إطار طائفي تنظيمي، حيث كانت تتم اجتماعاتهم سرًّا داخل منازل خاصة على مدى مائتي عام.

وقد تمكنت محاكم التحقيق في القرون الوسطى من تعقُّب عدد من النصارى الجدُد الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا ليهوديّتهم[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن "المارانوس" بإظهارهم لهذه الشعائر للبرهنة على اعتناقهم للعقيدة النصرانية يستندون في ذلك إلى معتقد يُسوِّغون به مذهبهم وهو قائم على أن الخلاص سوف يتم من خلال شريعة موسى، وليس عن طريق الكنيسة أو المسيح، ويؤمنون بأن تنصيرهم القسري هو جزء من العقاب الإلهي الذي حاق باليهود، تمامًا مثلما حدث لليهود أثناء النفي.

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٢).
(٢) ينظر: المرجع السابق ، ص(١٢٢-١٢٣).
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص(١٢٤).

وقد مثَّلت شخصية "إستير"[١] مثالًا للفكر الديني لدى "المارانوس" باعتبارها صورة مسبقة لما يحدث لهم؛ وذلك لأن "إستير" اضطرت إلى إخفاء هويتها الدينية مدة من الزمن، حتى تحرز مكانة متميزة داخل البلاط الفارسي[٢].

ومن سياق قصة "إستير" نجد أنها استطاعت بالتخفي والمكر والخداع أن تستبدل القاتل (غير اليهودي) بالمقتول (اليهودي)، والوصول إلى السلطة لذا فقد اعتبر "المارانوس" أن أسلوب حياتهم المتخفي في إسبانيا يتَّسق مع ما فعلته إستير في فارس.

(١) **إستير:** معناه في الفارسية: "كوكب"، واسمها في العبرية: هدسة أي: "شجرة الآس، وهي امرأة يهودية جميلة اتّخذها ملك الفرس زوجة له، وقد قدمت دورًا مهمًّا في إنقاذ اليهود من مكيدة دبرها وزير الملك للقضاء عليهم يوم الثالث عشر من آذار، وقد استطاعت أن تستصدر أمرًا من الملك بالقضاء على وزيره بعد اتّهامه بالخيانة ضدّ الملك، وقتلت أكثر من سبعين ألفًا من الفرس، أتباع الوزير قبل اليوم المحدد لقتل اليهود، ولذلك اتّخذ اليهود يوم الرابع عشر من آذار عيدًا لهم إلى يومنا هذا تخليدًا لذكرها، ولا يعرف شيء عن موت إستير وتاريخه، وينسب إليها "سفر إستير"، وعدد إصحاحاته: (١٠) إصحاحات. ينظر: قاموس الكتاب، نخبة من اللاهوتيين ص (٦٣-٦٦)، المنجد في اللغة والأعلام، معلوف ص(٤٤).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣/ ٣٦٨-٣٧٠). وخلاصة قصة إستير كما وردت في الكتاب المقدس أن ملك الفرس "أحشويروش" كان قد اتخذ له وزيرًا اسمه "هامان" وكان هذا الوزير يكره رجلًا من حكماء اليهود، اسمه "مردخاي" كراهية شديدة تعدَّت شخصه إلى الجنس اليهودي كله، بحيث أقسم هامان أن يقطع دابرهم جميعًا من بلاده، وأجرى هامان القرعة لاختيار يوم مذبحة اليهود.

وتحكي أحداث القصة التوراتية أن اليهودي مردخاي ذهب مستنجدًا بإستير، وتستمر إستير هي ومردخاي في حبك المؤامرة، والملك يسكر معها حتى انتهى الأمر بشنق "هامان" على الخشبة التي كان قد أعدها لمردخاي، وسلم الملك بيت هامان لإستير التي عينت فيه مردخاي وكيلًا، ويقول سفر إستير: "إنه في اليوم الثالث عشر من آذار الذي كان فيه أعداء اليهود يرجون بالتسلط عليهم، انقلب ذلك فكان لليهود التسلط على مبغضيهم، إذ اجتمع اليهود في مدائنهم، في جميع أقاليم أحشويروش الملك؛ لكي يلقوا أيديهم على جميع طالبي مساءتهم، فلم يقف احد في وجوههم؛ لأن خوفهم وقع على جميع الشعوب، وكان جميع رؤساء الأقاليم والأقطاب والولاة ووكلاء عمل الملك يساعدون اليهود؛ لأن خوف مردخاي وقع عليهم، إذ كان مردخاي عظيمًا في بيت الملك، وقد سار ذكره في جميع الأقاليم؛ لأن مردخاي كان آخذًا في العظمة فضرب اليهود جميع اعدائهم ضرب السيف والقتل والإهلاك". ينظر: سفر إستير (٢: ١- ١٠: ٣)، وينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥٥-٥٧)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٥-١٢٧).

ولذا فحريٌّ بقصة "إستير" أن تنال هذا القسط الوافر من الاهتمام وهذا الحيِّز من الفكر الديني لليهود المتخفين من "المارانوس"، بل من كل اليهود واعتبار هذه المرأة (بطلة قومية لليهود) التي أنقذت بمكرها وحيلها وخداعها شعبها من هلاك محقق، ومع هذا فقصة (إستير) من القصص الملفقة وقد رفضها كثير من علماء اليهود أنفسهم وعلماء اللاهوت النصراني[١].

وعلى ذلك فالقصة تكشف لنا جوانب من الشخصية اليهودية القائمة على المكر والخداع والحيلة، كما هو ديدن اليهود في كل زمان ومكان[٢].

ومهما يكن من أمر فإن لتلك الازدواجية بين الظاهر النصراني والباطن اليهودي أثرًا على عقيدتهم اليهودية، حيث اختفت بطول التخفي شعائر يهودية مثل: الختان، والذبح الشرعي، واستخدام شال الصلاة، وكثير من الأعياد، واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تمامًا عن دينهم الأصلي[٣].

المطلب الثاني: "المارانوس" والباطن اليهودي.

حرص "المارانوس" عل التمسك بيهوديتهم والمحافظة عليها مضطرين مع إظهارهم للنصرانية اعتقادًا وعملًا؛ لذا كانوا يبطنون اعتقادهم لليهودية، ويخفون العمل بتعاليمها وتشريعاتها.

وكانوا ينطلقون في صنيعهم ذلك من فكرة الخلاص والمخلِّص التي يعتقدون بها، وذلك بأن المسيح المخلِّص سوف يخلِّصهم من الذلّ الذي لحقهم، جراء تنصّرهم القسري الذي أُكرهوا عليه[٤].

(١) اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٧).

(٢) ينظر في هذا: الشخصية اليهودية، الخالدي ص(٢٠٥-٢٠٧)، الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، محمد إسماعيل ص(١١٩-١٢٨).

(٣) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٤)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧٧).

(٤) سبق التعريف بمعتقدهم في الخلاص والمخلص، وينظر فيما ذكر هنا: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٥٥-٦٣)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٩).

وبالإضافة إلى ذلك فقد اتخذوا من قصة "إستير" التي سبقت الإشارة إليها[١] تُكأةً ومُستندًا لتسويغ هذا الاختفاء بالشرائع والشعائر والطقوس اليهودية، وحرصًا منهم على تطبيق تعاليم الديانة اليهودية والالتزام بها اتخذوا جملة من الوسائل والتدابير التي تكفل لهم السلامة، ويتمكنون بواسطتها من إخفاء يهوديّتهم، ومنها باختصار:

- استخدام شفرة[٢] سرية يتعرف بها بعضهم على بعض، وقد تكون مكتوبة في الخطابات، أو حركة عند اللقاءات، أو صيغة للسؤال أو الجواب خلال المحادثات.
- بناء دور العبادة الخاصة بهم في تصميمها الخارجي على طراز الكنائس الكاثوليكية، وتزيينها بالأجراس والصلبان والتماثيل والصُّوَر إمعانًا في التنكر والتمويه والتعمِيَة.
- الإقبال على السُّكنى في الأديرة التابعة لرهبان النصرانية، وذلك في عزلة وصَمْت، وما ذاك إلا لمناسبتها لأداء الطقوس والتشريعات اليهودية دون خوف أو وجل.
- اقتناء تماثيل القدِّيسين والاحتفاظ بها، أُسوة بما كان عليه حال النصارى في بيوتهم؛ ولذا كانوا يوجِّهونها إلى الحيطان، إلا في حالة زيارة أحد النصارى فيديرون وجوهها تلقاء الناظرين.
- وسم جباههم وصدورهم بالصليب تأكيداً على التمويه بذلك[٣].

(١) تمت الإشارة إلى التعريف بها وبقصتها وعلاقتها بالموضوع.

(٢) **الشَّفرة:** رموز يستعملها فريق من الناس للتفاهم فيما بينهم، ومادة شفر في اللغة تطلق على معانٍ عدة، أقربها للمقصود حدُّ الشيء وجانبه وحرفه، يقال: حد السيف، وجانب النصل، وحرف الوادي، فكأنه استغني عن بعض الكلام (الشفرة) عن جميعها. ينظر مادة "شفر" في: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢٠٠)، مختار الصحاح، الرازي ص(١٩٣)، القاموس المحيط، الفيروزأبادي ص(٥٣٥-٥٣٦)، المعجم الوسيط (١/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا ص(٢٥٨)، بابوات من الحي اليهودي، ص(٤٧)، وكذلك بعض المراجع باللغة العبرية في: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٢-٦٣).

ومع هذه الأساليب في التعمية والإيهام إلا أن الشعائر اليهودية التي كانوا يؤدونها في ظل تلك الظروف لم تكن على مستوى واحد من السهولة والصعوبة واليسر والعسر.

فالصوم مع أهميته عندهم لم يكن "المارانوس" يجدون مشقته في ممارسته والالتزام به لسهولة إخفائه(١)، بينما كان الختان شعيرة يهودية يصعب إخفاؤها في وسط مجتمع نصراني وبيئة نصرانية لا تعترف به ولا تطبقه، فكانت مسألة التعرف على اليهودي المتمسك بيهوديته من خلال الختان سهلة؛ ولأجل ذلك تسببت في أرق وإشكالية لدى "المارانوسيين"، مما اضطر بعض علماء اليهود إلى أن يفتي لهم بجواز جرح القلفة دون استئصالها كاملة، وعليه تكون عملية الختان غير ظاهرة، وفي الوقت ذاته يحافظون على بقاء هذه الشعيرة وأدائها(٢).

ولم تكن هذه الشعيرة اليهودية الوحيدة التي يصعب إخفاؤها، بل كانت هناك شعائر أُخر تعد مصدر إشكال ومشقة عليهم في إظهارها.

ولا شك أن تتبع الشرائع والتشريعات اليهودية التي حافظ عليها اليهود عمومًا و"المارانوس" خصوصًا يطول جدًا، ولكن لعل ذكر طرف منها بالإشارات يغني عن كثير من العبارات.

فمن أهم الطقوس والشعائر اليهودية التي التزم بها يهود "المارانوس" وحرصوا عليها ما يلي:

---

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٩)، وينظر في الصيام عند اليهود: دراسات في اليهودية، بركات ص(٢٠٨-٢١٣)، العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(١٠٠-١١٥).

(٢) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٩- ١٣٠).

يقول د. حسن حنفي: "بالرغم من تخلي يهود إسبانيا عن دينهم وتحولهم إلى الكاثوليكية... إلا أنهم حافظوا على طقس الختان رمزًا للرباط الأبدي بينهم". ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، لإسبينوزا، ص(٥٦).

١- الصلاة: "إن البحث في بدايات التشريع اليهودي للصلاة مهمة عسيرة لأسباب عدة منها، أن الباحث يجد نفسه أمام دائرة واسعة غير محددة المعالم، وتاريخ طويل متطوِّر ومتجدِّد كل حين، فالصلاة لديهم في تغيِّر مستمر، وتشعُّب لا نهاية له، ويمكن إرجاع ذلك كله إلى عدم تحديد التوراة وأنبياء العهد القديم لماهية الصلاة -شكلًا لا مضمونًا- إلا بعد مدة السبي البابلي لاقترانها بتقديم القرابين للآلهة المعبودة"(١).

والصلاة في اليهودية قسمان: فردية ارتجالية، وجماعية مشتركة، فالفردية تتلى حسب الاحتياج والظرف الخاص بها مثل صلاة إبراهيم عليه السلام ؛ لأجل خلاص سدوم، وصلاة موسى عليه السلام ؛ لأجل بني إسرائيل وغيرها، والصلاة الجماعية فهي التي تؤدي في أماكن مخصوصة ومواعيد محددة(٢).

أما "المارانوس" فقد حرصوا على إقامة الصلاة الجماعية في معبدهم السري بشكل صارم، وحتى يتم إخفاء الدعوة للمصلين لاجتماع الصلاة، كان يتم إرسال عبد يرتدي لباسًا أحمر، يقوم بالدق على دف إشارة للمارانوس أن يجتمعوا ويذهبوا من جميع الشوارع والطرقات إلى المعبد لحضور اجتماع الصلاة، كما اعتادوا الصوم، وتلاوة التوراة في جماعات؛ ونظرًا لأن نسخ التوراة كانت قليلة ونادرة، فقد استخدم المتنصرون أناشيد ومزامير سفر المزامير الدومينيكاني(٣).

(١) العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(٧٤).

(٢) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٢٤١)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبد الرازق أسود (١/ ١٧٩).

(٣) **الدومينيكان:** هي طريقة في الرهبنة النصرانية أو جماعة من رهبان الكاثوليك، أسسها القديس "دومينك" أو "دومينيكوس"، وذلك في القرون الوسطى، وحياة الراهب فيها مكرسة للدراسة والصلاة والوعظ، وينتشرون في أنحاء العالم، وبخاصة في الأوساط الجامعية. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، غربال (١/ ٨٢٢)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٨).

أيضًا كان "المارانوس" يقيمون صلواتهم باللغتين الإسبانية والبرتغالية، ويتلونها بعبارات عبرية.

والصلوات الواجبة في اليهودية ثلاث في كل يوم، عند الفجر، وفي الظهيرة، وبعد الغروب(١).

وطقوس الصلاة في اليهودية تبدأ بالوضوء بغسل الأيدي فقط ثم يوضع شال صغير على الكتفين، أما صلاة الجماعة فيستخدم فيها شال كبير يتكون من ثمانية أهداب من الخيوط، أربعة من اللون الأبيض وأربعة زرقاء يرمزان إلى التعرف على طلوع الفجر(٢).

وهذا الشال يلبسه اليهودي بعد بلوغه سن التكليف وهو (ثلاث عشرة سنة) وعند موته يكفن فيه، وتغطية الرأس في الصلاة واجبة في الصلاة اليهودية احترامًا وتوقيرًا، ويضع المصلي في وسط جبهته التفلين(٣) وأخرى على الكف اليسرى وترمز إلى الاهتداء بكلمات الآلهة المقدسة(٤).

والمقصود من ذكر بعض هذه التفاصيل المتعلقة بالصلاة اليهودية أنه لا يمكن

(١) ينظر: العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(٨٦-٨٨)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٨).

(٢) ينظر: تاريخ الفكر الديني اليهودي، (١٢٥)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبد الرازق أسود (١/ ١٨١).

(٣) **التفلين:** ويسمى التفيلين أو الفلاكتريس، وأصل الكلمة تفيلا ومعناها بالعبرية العصابة، وهو عبارة عن تميمة مكونة من صندوقين من جلد معين، يُشدّ أحدهما تحت الإبط الأيمن ويربط بحزام مما يلي مستوى القلب، والثاني يربط على الجبهة، ويلبس عند الصلاة، ما عدا يوم السبت وأيام الأعياد، مع اختلاف بين طوائفهم في ذلك، وهو بمثابة التميمة يحتويان على نصوص من التوراة، مكتوبين بالعبرية أو السريانية القديمة بحبر أسود نظيف، وهو للرجال لمن بلغ الثلاثين منهم دون النساء، وشذ بعض طوائفهم فأوجبها للنساء. ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(١٤٤)، العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(٨٥-٨٦)، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%8A%D9%81%D9%8A%D

(٤) ينظر: تاريخ الفكر الديني اليهودي، ص(١٥٣).

معها أداء الصلاة من قبل "المارانوس" إلا خفية في مكان لا تصل إليهم فيه الأنظار، ولذا كان لا بد من القيام بها في المعبد السري.

والكلام عن الصلاة وتفصيلاتها عند اليهود يطول وليس هذا موضعه[١].

٢- مواسم اليهود وأعيادهم: يُعدُّ الاحتفال بيوم السبت من أهم مواسم اليهود؛ ولذا يُعدّ من الشعائر التي واظب عليها يهود "المارانوس" لقدسيتها عند كل اليهود، حيث يُعدّ السبت عيدًا أسبوعيًا عند اليهود وهو يوم مقدس يبدأ من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت، وأهم شعائر هذا اليوم عند اليهود كما ورد في سفر الخروج، الكف عن أي عمل، وذلك؛ لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من تكوين الخليقة -كما يزعمون- ويحرم فيه القيام بأي حرفة، ويحرم إيقاد النار فيه ولكن توقد فيه الشموع، كما يحرم السفر فيه، كما حرموا فيه إنفاق النقود والبيع والشراء، وحرموا الكتابة أو استخدام أقلام أو نقود أو كبريت، وخروج اليهودي في هذا اليوم يكون للمعبد فقط حاملًا التوراة أو كتاب الصلوات، كما تحرم فيه عقود الزواج والحرب إلا في حالة الدفاع فقط[٢].

وقد سببت المحافظة على شعائر السبت إشكالية كبيرة لدى "المارانوس" في أدائهم لتلك الشريعة المقدسة، حيث إن عدم إشعال الشموع يوم السبت يُعدّ خطيئة في الشريعة اليهودية؛ لذا فقد اعتادت نساء اليهود من المتنصِّرات إيقاد الشموع وإخفاءها تحت الموائد، مع تغطية النوافذ بقماش أسود اللون حتى لا يراهم أحد، وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد اليهودية حتى لا يتم كشف أمرهم، وعند حلول يوم السبت كان "المارانوس"

(١) ينظر للتوسع في ذلك: العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(٧٤-٩٤)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبد الرازق أسود (١/ ١٧٨-١٨١).

(٢) ينظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا ص(١٦٦-١٦٧)، دراسات في اليهودية والنصرانية، ص(١١٤)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٥).

يرتدون ملابس نظيفة ويفتحون حوانيتهم، لكنهم كانوا يتهربون من البيع لأي أحد بخدع، وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم البيع يوم السبت.

وقد كشف أحد المفتشين الكنيسيين المكلفين بتعقب أحوال المتنصرين اليهود (المارانوس) في إشبيلية بإسبانيا ممارسة "المارانوس" لشعائر السبت، فيقول: «لو أردنا معرفة كيف يحافظ المتنصِّرون على وصايا السبت فلنذهب ونصعد إلى البرج، فسنجد أنه لا يوجد بيت من بيوت المتنصِّرين يتصاعد منه دخان؛ لأنهم لم يوقدوا نارًا بسبب وصايا السبت»[(١)].

ومثل هذا يقال أيضًا في أعيادهم التي حرصوا على إحيائها والمحافظة عليها كما حرصوا على إخفائها وعدم إظهارها، ومن أشهر تلك الأعياد:

- عيد الغفران أو الكيبور أو التكفير.
- عيد الفصح أو الربيع أو الفطير.
- عيد البوريم أو المسافر أو النصيب.
- عيد الظلل أو المظال.
- عيد رأس السنة[(٢)].
- عيد الحانوكاه[(٣)].

(١) ورد هذا النص في أحد المراجع اليهودية باللغة العبرية، ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٦).

(٢) المقصود بعيد رأس السنة هنا، رأس السنة العبرية، ويكون في شهر سبتمبر ومطلع أكتوبر. ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٢٧٦)، الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا ص(١٦٨).

(٣) ينظر في هذه الأعياد وتفصيلاتها: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٢٧٥-٢٧٨)، موسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرازق أسود (١/ ١٧٦-١٧٨)، دراسات في اليهودية، بركات ، ص(٣٠٥-٣٢٢).

والقاسم المشترك بين هذه الأعياد هو حرص "المارانوس" على إحياء أيامها قَلَّت أو كثُرت، وذلك في خفية وسرية، ولذا يقيمون صلاتها وطقوسها بعيدًا عن أعين الناس وغالبًا ما تكون في المعبد السري.

وقد كان اكتشاف أي نصراني لأي مظهر من مظاهر تلك الأعياد يقوم به أحد "المارانوس" يعرِّضه للعقاب الشديد، لذا اهتم أولئك "المارانوس" بأداء تلك المراسم والطقوس بسرِّية شديدة وتكتُّم حتى عن أقرب الناس إليه[١].

٣- إجراءات الزواج: يعتبر بقاء اليهودي في العزوبة أمرًا منافيًا للدين، وبالرجوع إلى أسفار العهد القديم يلاحظ أن الشريعة اليهودية قد أكدت على الزواج، ورغبت فيه[٢]، كما يحرم عندهم الزواج بين اليهود وغيرهم، والزواج بغير اليهودي أو اليهودية يعتبر فجورًا وَزِنا مستمرين.

وتعدد الزوجات جائز عند اليهود، وليس في الدين اليهودي حد أقصى لتعدد الزوجات، وإن صدرت فتوى متأخرة بتحريم التعدد[٣].

وقد كانت الأمهات والجدَّات في الأسر "المارانوسية" هن المسؤولات عن تنظيم أمور الزواج، وكان "المارانوس" يحرصون على الزواج فيما بينهم من داخل الأسرة، حفاظًا على سرية الديانة بينهم عن النصارى، وفي الوقت نفسه اتباعًا للشريعة اليهودية التي تحرِّم الزواج من غير اليهود[٤].

وقد ظل "المارانوس" طوال سنوات عديدة على اتصال مباشر بنظرائهم في مختلف أرجاء العالم مثل إيطاليا ومناطق أخرى في أوروبا، وأيضًا في الدولة العثمانية، وذلك من أجل التزود بزيجات للمارانوس في العالم النصراني، وتذكر وثائق محاكم التفتيش

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧٤)، (٧٢-٧٧).
(٢) دراسات في اليهودية، بركات، ص(٢٢١-٢٢٢).
(٣) الفكر الديني اليهودي، ص(١٩٧-١٩٨)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص(١١٦).
(٤) ويطلقون على غير اليهود "الجوييم"، أي: الأغيار. ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(١٥٤).

أنه كان جزء كبير من هؤلاء الأزواج تجرى له عملية الختان، وفي ليلة الزفاف لم يكن معتادًا إقامة علاقة جنسية حتى تتطهر العروس من دماء العذرية طبقًا للشريعة اليهودية[١].

٤- عادات الدفن والعزاء: مارس "المارانوس" عادات الدفن كما هو متبع في اليهودية، ومنها أنه عندما يموت "المارانوسي" فكان يتم توجيه وجهه ناحية الحائط، ويتم غسله بمياه دافئة، ويتم تغطيته بقماش، وكان هذا القماش يتم استيراده من فرنسا وهولندا، ويتم نسجه في مصانع تابعة لأشخاص من أصل يهودي.

وكان عادة تمزيق القماش -حزنًا على الميت- شائعة بين "المارانوس"، وبعد دفن الميت كانوا يتناولون بيضًا مسلوقًا جامدًا بلا ملح، ويرمز إلى دورة الحياة، أما عدم وجود ملح في الطعام فيرمز إلى التأكيد على مرارة فقدان الميت -وهي من التقاليد اليهودية-، كما اعتاد المتنصِّرون على القيام بطقس الحداد سبعة أيام على روح الميت -وهو أيضًا تقليد يهودي-، وطوال تلك الأيام السبعة كانوا يقلبون الصور تجاه الحائط، ويُفرغون أواني المياه لإخراج الأرواح الشريرة، وعلى مدى الأيام السبعة يتناول الأقارب والأصدقاء الطعام مع بعضهم بعضًا، ويتلون قداس الترحم ثلاث مرات في اليوم طوال (١١) شهرًا، وذلك أثناء صلاة الجماعة[٢].

١- أحكام الأطعمة: حافظ "المارانوس" على الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام بتطبيق عادات الذبح حسب قوانين الشريعة اليهودية، وكان للمارانوس جزارين يذبحون لهم اللحم ويوزعونه سرًا. وكان لهم سكِّين مخصِّص للذبح، ويعلِّقون الحيوان من قدميه بعد ذبحه؛ لكي يخرج منه الدم طبقا للشريعة اليهودية، ويقومون بتمليح اللحم المذبوح، وطبقًا للشريعة اليهودية حرص "المارانوس" على تناول

(١) ينظر: بابوات من الحي اليهودي، ص(٤٦)، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧١).

(٢) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧١).

السمك الأملس، ولم يستخدموا زيتًا مستخرجًا من الحيوانات لطهي أطعمتهم، وإنما يستخدمون زيت الزيتون فقط، وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم طهي اللحوم بزيوت حيوانية، بل يستخدمون زيوتًا نباتية، ولم يكن للمارانوس أوانٍ خاصة لفصل الأطعمة المستمّدة من اللبن ومشتقاته عن الأطعمة الخاصة باللحم، لكنهم لم يدخلوا الأطعمة المعتمدة على لحم الخنزير إلى بيوتهم طبقًا لتحريمه في اليهودية.

وقد اكتشفت المحاكم التفتيشية ذلك، وكان هذا الأمر أحد الدواعي لإطلاق لفظ "المارانوس" أي الخنازير عليهم[١]، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولعل مما يكشف عن كثير من التشريعات اليهودية التي كان يمارسها "المارانوس" في الخفاء تلك البنود التي نشرتها الكنيسة، والتي من خلالها يمكن التعرف على المتنصرين الذين لا زالوا على يهوديتهم أو عادوا إليها، كما تعد من وسائل محاكم التفتيش في كشف تخفي "المارانوس"، ومن أهم تلك البنود ما يلي:

١- إذا قام بتقديس يوم السبت.

٢- إذا غير ثيابه يوم السبت بثياب جديدة وقمصان نظيفة.

٣- إذا قام بتغطية المائدة بغطاء يوم السبت.

٤- إذا لم يشعل نيرانًا يوم السبت.

٥- إذا تناول وجبة السبت والمسماة "الدفينة" أو "السخينة".

٦- إذا توقف عن ممارسة عمله يوم السبت.

٧- إذا تناول لحمًا أيام الصيام النصراني.

٨- إذا صام في عيد الغفران.

٩- إذا خرج في يوم الغفران بصندل أو جورب أو حافيًا.

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش، ص(٧٠)، دراسات في اليهودية، بركات، ص(٢١٧-٢٢٠).

١٠- إذا طلب يوم السبت من أخيه الصفح والمغفرة.

١١- إذا احتفل بعيد الفصح متناولًا البقول والفطير.

١٢- إذا قام في الظل، أو اتخذ مظلّة في عيد المظالّ.

١٣- إذا وجد معه في عيد المظال أتروجة أو شعانين.

١٤- إذا تزوج عدة نساء كحال شريعة موسى عليه السلام .

١٥- إذا دعا نفسه باسم إسرائيلي.

١٦- إذا قام بختان أبنائه.

١٧- إذا غسلوا المولود في اليوم السابع من مولده، وهذا ما يفعله اليهود في ذلك اليوم.

١٨- إذا فرش رغيف الخبز العجين قبل خبزه.

١٩- إذا بارك الكأس في وجبته ومرَّره على كل الموجودين.

٢٠- إذا غسل يديه قبل الصلاة.

٢١- إذا بارك قبل ذبح حيوان أو طير.

٢٢- إذا غطى دم الذبيحة من الحيوان أو الطير بالتراب.

٢٣- إذا أزال العروق من اللحم لإخراج الدم منه.

٢٤- إذا قام بتمليح الطعام لإخراج الدم منه.

٢٥- إذا لم يأكل الخنزير أو الأرنبة[١].

٢٦- إذا غسل الوليد بالماء بعد دخوله في العهد النصراني.

٢٧- إذا سمى أبناءه بأسماء العهد القديم.

---

(١) أما حرمة لحم الخنزير فهذا مشتهر عند اليهود، وأما لحم الأرنب فمن غير المشهور سبب ذلك، وللعلم فهذا النص ورد في بعض المصادر والمراجع اليهودية باللغة العبرية. ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧٩- ٨٠). ولكن جاء في موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص (٢٥٩) أن مما يحرّم اليهود لحم الأرانب وما يتصل بها من القوارض، آكلة العشب؛ لأنها ذات أظافر لا أظلاف مشقوقة.

٢٨- إذا بارك أبناءه بوضع اليد عليهم.

٢٩- إذا لم تزُرِ النساء اللاتي ولدن المعابد إلا بعد أربعين يومًا من طهارتهن.

٣٠- إذا قام بإراحة المحتضر تجاه الحائط.

٣١- إذا قام بغسل جسمه بالمياه الدافئة.

٣٢- إذا لم يضف بعد قراءة تراتيل الصلاة عبارة "باسم الآب والابن والروح القدس" -كما في النصرانية- وبمرور الوقت أُضيف على تلك القواعد فقرات إضافية[١].

وكما هو ملحوظ من تأمل هذه البنود أن منها ما يتعلق بالمواسم والأعياد اليهودية، ومنها ما يتصل بالأطعمة وعاداتها، وأخرى تلامس تقاليد وتعليمات الزواج والولادة والتسمية والختان، وبعضها ذو علاقة بالطهارة والصلاة، وأخرى تتعلق بطقوس الغسل والدفن للموتى والتعزية.

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧٨-٨٠).

المبحث الثالث

"المارانوس": التأثر والتأثير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأثر "المارانوس" بالنصرانية:

لقد عاش "المارانوس" حياة متذبذبة بين عقيدة وشريعة نصرانية يظهرونها وتنشأ عليها أجيالهم، وعقيدة وشريعة يهودية يبطنونها ويُسرِّون بها لذريّاتهم بعد سِنِّ التكليف[(١)].

وما من شك في أن العقيدة والشريعة النصرانية التي ينشأ عليها الطفل سيكون لها بالغ الأثر، وعظيم التأثير في باقي سنيّ عمره مهما بلغ، فكيف إذا اجتمع مع هذا استمرارية بقائه على النصرانية ظاهريًا.

ومن المؤكد أن التأثر لم يقتصر على مستوى الأفراد فحسب، بل تعدى ذلك إلى تعاليم وشعائر الديانة من خلال التأثر الجمعي، وذلك بكُمون أو اختفاء بعض الشعائر اليهودية، وبتغيُّر وتبدُّل شعائر أخرى، وبهذا تكون النصرانية قد أثَّرت في اليهودية "المارانوسية".

وبناء على ما سبق يمكن القول بأنه «وعلى الرغم من محاولات بعض "المارانوس" المحافظة على أداء الشعائر اليهودية بأساليب ووسائل خفية، إلا أنه مع طول مدة تخفِّيهم وسط مجتمع مختلف عن دينهم تمامًا، بل معادٍ له؛ فقد كان لهذا الأمر أثره العميق على عقيدتهم نفسها، حيث اختفت شعائر يهودية مهمة، مثل: الختان، والذبح الشرعي، واستخدام شال الصلاة (الطاليت)[(٢)]، وكذلك اختفت كثير من

(١) وتحدد اليهودية سن البلوغ أو الرشد عندما يبلغ الصبي الثالثة عشرة من عمره، أما سن البلوغ عند الفتاة فهو سن الثانية عشرة، وتكون ملزمة بالقيام بجميع الفرائض الدينية.
ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦٦).

(٢) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(٢٥٩).

الأعياد، واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تمامًا عن دينهم الأصلي إلا من بعض كبار السن من "المارانوس" كانوا يحافظون على أداء الشعائر» [١].

وعند البحث عن أسباب هذا التأثر الظاهر ومن خلال التأمل في ظروف وأحوال هذه الطائفة (المارانوس) يتبين بأنه كان هناك عنصران رئيسان أدَّيا إلى تدهوُر أحوال الطائفة السرِّية "المارانوسية" وانحلالها في النهاية:

- العنصر الأول: هو نقص علماء وعارفي الشريعة والعقيدة والمعلمين اليهود، حيث نتج عن هذا قطع الصلات الدينية بين المتنصِّرين اليهود (المارانوس) واليهود الباقين على يهوديَّتهم.
- أما العنصر الثاني: فكان ازدياد نسبة الزواج المختلَط بين "المارانوس" والنصارى، الأمر الذي أدَّى إلى ضعف الصلة باليهودية نفسها[٢].

ولا ريب أن الوسائل والأسباب التي كان النصارى يتخذونها مع أولئك "المارانوس"، والتي حرصوا من خلالها على قطع علاقتهم بدينهم السابق كان لها بالغ الأثر والتأثير، فكيف عندما تقترن تلك الوسائل والأسباب بالإرهاب والقوة والبطش والقسوة بواسطة محاكم التفتيش التي لم تكتفِ بذلك فحسب، بل سعت وتمكنت من متابعة وتعقب عدد من "المارانوس" الذين تفرقوا في أنحاء متعددة من أوروبا [٣].

ومن الشواهد الدالة على حجم الضغوط التي واجهوها؛ تلك العهود والمواثيق والأيمان التي تُؤخذ على كل من تحوَّل من اليهودية إلى النصرانية أمام الكنيسة -وقد سبقت الإشارة إلى بعضها-، فيلاحظ فيها إحاطة القَسَم الوارد فيها بكافة النواحي

(١) أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٧٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص(٧٧-٧٨).

(٣) ينظر الإشارة إلى شيء من ذلك في: اليهود ومحاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، د. يواقيم رزق مرقس، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٦١)، اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٢٤، ١٣٣).

الإيمانية للفرد المتنصِّر داخل النصرانية، التارك لليهودية، بل وتعدَّى القَسَم الجوانب الإيمانية إلى كافة الجوانب الحياتية والسلوكية، بحيث يقطع المتنصِّر أي صلة له بدينه القديم، وهو اليهودية، وفي الوقت نفسه يُوَثِّق كل الصلات بدينه الجديد وهو النصرانية.

ويلاحظ أيضًا أن الالتزام بتطبيق النصرانية كان صارمًا، وأن أي تهاون عن هذا الالتزام سوف يعرض صاحبه لعقوبة شديدة تصل إلى الموت أو الحرق[١].

كما أن في البنود التي نصَّت عليها الكنيسة والتي من خلالها يمكن التعرف على المتنصرين الذين لا يزالون على يهوديتهم دليلًا واضحًا على صرامة الكنيسة في قطع صلة أولئك "المارانوس" بعقيدتهم التي يخفونها ودينهم الذي يبطنونه، فلا غرو أن يتأثر أولئك بالدين المفروض عليهم وتضمحِّل تدريجيًّا معرفتهم بدينهم السابق الذي أُجبروا على تركه، وأُكرهوا على التخلي عنه، ويضعُف ولاؤهم له خاصة مع مرور السنين، وظهور أجيال تكاد تكون مقطوعة الصلة بمعتقدات آبائها وأجدادها.

ولعل من أجلى صور التأثر "المارانوسي" بالنصرانية أن ذوبان العقيدة والشريعة اليهودية عند "المارانوس" لم يقتصر على الأشخاص، بل تعدّاهم إلى الأُسَر والعوائل، ولم ينحصر في بعض التشريعات والمظاهر بل تجاوز ذلك إلى الانسلاخ الكلي من اليهود.

والمثال الصارخ على هذا أسرة "بيرليوني" التي تحوَّلت كلها في روما إلى النصرانية عام (١٠٣٠م) وقامت بطقوس التعميد، وكان رئيس هذه العائلة هو "باروخ" الذي أطلق على نفسه اسمًا نصرانيًا هو "بندكتوس" أي المبارك حيث أعلن نبذه لاسمه العبري ودينه[٢].

وهذا يؤكد بوضوح تام أن أعدادًا من اليهود "المارانوس" أُفقِدُوا هويتهم الدينية وانتماءهم الأصلي متأثرين بالديانة النصرانية سواء (معتقداتها، وتشريعاتها، وتعاليمها).

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش، ص(٦٠).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص(٥٨).

ومن الأمور المدهشة التي قام بها المتنصِّرون -حرصًا على ممتلكاتهم-، وحفاظًا على مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية في الدولة، واستمرارًا لمراءاتهم للملوك، أنهم قاموا بتشجيع المذابح التي وقعت عام (١٣٩١م) ضد اليهود، ورأوا في هذه المذابح الانتقام الإلهي من اليهود الذين أهدروا دم المسيح، وكان على رأس هؤلاء الحاخام اليهودي "سليمان آل ليفي" الذي حول اسمه إلى "باول دي سانتا ماريا" ثم تحوَّل إلى أسقف في النصرانية، حيث طارد إخوانه في الدين دون هوادة[١].

ومع كل ما سبق يبقي اختفاء وضمور جملة من الشعائر اليهودية المهمة من أقوى مظاهر التأثر بالديانة النصرانية.

وهذا ما يفسِّر لنا ظهور يهودية ذات أنساق كاثوليكية، مثِّلت نوعًا من الازدواجية لدى النصراني الذي وقف بين خيارين:

الأول: يتعلق بمدى قبوله لليهودي قاتل المسيح من ناحية.

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٨٢)، ولهذا ظهر ما يمكن أن نطلق عليهم "المتنصرين المناهضين لليهود" ، ومن أبرز أولئك:

١- موشي السفرادي.
٢- دونين الروشويلي الفرنسي.
٣- بابلو كريستياني المونتفليري.
٤- أفنير البورجوشي.
٥- يوهان الولدوليدي.
٦- شلومو ليفي البورجوشي.
٧- يوسف اللورقي.
٨- ليفي بن شيم طوف.
٩- هنريك نونيس.
١٠- سيكستوس منسيناي.
١١- المتنصر ألكسندر.
١٢- فراي ألونسو دي إسبينا.

والكلام عن كل واحد منهم يحتاج إلى بحث مستقل، وللتوسع في هذا ينظر: المرجع السابق، ص(٨٣-٨٧).

والآخر: يتعلق بالوجود اليهودي المشروع؛ لأن الكنيس اليهودي هو بيت الله طبقًا للتشريع من ناحية أخرى.

وفي الوقت نفسه ظهرت الازدواجية لدى اليهودي المتنصِّر الذي تحتَّم عليه إبراز النصرانية، وإخفاء يهوديته[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تأثُّر الديانة اليهودية بشكل عام ليس محصورًا على النصرانية فحسب، بل الدراسات تثبت "أن اليهود تأثَّروا في معتقداتهم التعبدية بما عند الشعوب التي عاصروها واندمجوا معها في نتاج فكري شبه موَحَّد، مما أثَّر سلبًا على أقدس كتبهم (التوراة)، فخلطوا كلام الله بالمعتقدات الوثنية، وعمَّقوا هذا المفهوم في شروحات التوراة المتعاقبة والتلمود بشطريه (المشنا والجمارا)"[٢].

المطلب الثاني: تأثير "المارانوس" في النصرانية.

مما لا شك فيه أن التأثير اليهودي في الديانة النصرانية عميق الأثر، عظيم الخطر، إذ هو ضارب بأطنابه في أصل عقيدتهم والقاعدة التي تقوم عليها، وذلك بالتثليث[٣] الذي سرَّبه وأدخله إلى النصرانية بولس الرسول[٤]، فحوَّلها إلى

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ، ص(٣٦-٣٧).

(٢) ينظر: العبادات في الأديان السماوية، الموحي ص(١٣٣).

(٣) **التثليث:** عقيدة طارئة لا أصل لها في عهد المسيح، وقد أصبح من الدعائم والأركان المهمة في الديانة النصرانية، وهو عندهم: الإيمان بإله واحد مؤلَّف من ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، كل واحد منها إله تام الأب والابن والروح القدس، فالأب خلق بواسطة الابن، والابن أتم الفداء وقام به، والروح القدس يطهر القلب والحياة، غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معًا في جميع الأعمال الإلهية على السواء، فالثلاثة واحد لا يتجزأ وكل لا يتبعض. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين ص(١٠٨)، حقائق أساسية في الإيمان المسحي، القس فايز فارس، ص(٥٢-٥٣).

(٤) **بولس (بولش) البنياميني:** كان اسمه العبري (شاول)، أي: (المطلوب)، ولد في طرسوس سنة ١٠م من عائلة يهودية، وقام بتحريف وتبديل للعقيدة النصرانية الأصلية، ولم يقتصر تحريفه على العقيدة فقط، وإنما تعدَّاها إلى الشريعة أيضًا فحرَّفها، ومن تحريفاته للعقيدة: أنه نقلها من التوحيد إلى تأليه المسيح عليه السلام ثم تطورت بعد ذلك إلى ما هي عليه اليوم، وقد ادعا أن المسيح ابن الله، وأن نزوله وتجسده بين البشر وصلبه تكفيرًا للخطايا، وأن النصرانية ليست دينًا لبني إسرائيل فحسب بل هي دين عالمي، ومن تحريفاته=

النصرانية التثليثية فانتقلت بالخبث والمكر اليهودي من ظلال التوحيد الوارفة إلى ظلمات الشرك المهلكة[١].

وهكذا كان يهود "المارانوس" مزدوجي المعتقد، فمع إظهارهم لاعتناق النصرانية وتمسُّك باطنهم باليهودية مضطرِّين مُكرَهين، إلا أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل تطوَّر حالهم واستطاع بعضهم أن ينتقل من خندق التأثر إلى خندق التأثير، وقد تنوَّع وتعدد تأثيرهم على الدين النصراني كمّا وكيفًا، وتفاوت أيضًا شكلًا وعمقًا ومضمونًا.

ولطول هذا الموضوع وسعته وتشعبه، ولحاجته إلى دراسة تفصيلية معمقة، لا يتسع لها المقام فإنه يكفي الإشارة هنا إلى بعض ملامح التأثير "المارانوسي" اليهودي في النصرانية، ومن أبرز تلك الملامح:

أولًا: وجود شخصيات تدافع عن اليهود وحقوقهم، ومن أولئك "منسي بن إسرائيل" (١٦٠٤-١٦٥٧م) من يهود "المارانوس"، كان حاخامًا[٢] وكاتبًا له عدة مؤلفات، اشتهر بالشخصية المركبة والمزدوجة بين الغرب النصراني والتقاليد الدينية اليهودية، ويعتقد أن مجيء المسيح لن يتحقق إلا إذا تشتت اليهود في كل مكان في العالم، وكان على اتصال بيهود "المارانوس" في انجلترا، حيث دعا لتوطين اليهود في انجلترا، وقد ظهرت عقيدته في مؤلفه "الدفاع عن اليهود" حيث بيَّن فيه أن الدين

=للشريعة: اختلاقه لما يعرف الآن (بالعشاء الرباني)، وإلغاؤه فرضية الختان واستبداله بأمر آخر وهو المعمودية، مات سنة (٦٧ أو ٦٨م). ينظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين ص(١٩٧-٣٣٧-٦٣٧)، المحيط الجامع، الخوري ص(٢٨٥)، الموسوعة العربية الميسرة، لغربال (١/ ٤٤٠)، محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص(١٥٩)، دراسات في النصرانية، مزروعة ص(٩٩).

(١) ذكر الشيخ عبد الرحمن الدوسري أن هناك محاولات سابقة لمحاولة بولس الرسول لتحريف النصرانية. ينظر: اليهودية الماسونية، ص(٢١-٢٢).

(٢) **حاخام:** جمعها حاخامات، وهو اللقب الذي يحمله رجل ديني يهودي تم تنصيبه، والكلمة العبرية المقابلة للحاخام هي الراباي، وتعني في الأصل العبري: معلمي أو سيدي، وقيل الرجل الحكيم او العاقل، وقد اتسعت وظيفة الحاخام في العصر الحديث، بحيث تخطَّت حدود المعبد اليهودي والأمور الاجتماعية والدينية التقليدية. ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري ص(١٦٣).

لابد وأن يكون مسألة اختيارية، ولا ينبغي للسلطات الدينية إجبار أحد على اتباع دين معين[١].

ثانيًا: الطعن والتشكيك في صحة الكتاب المقدس، وإثبات تحريفه، وذلك في كل من العهد القديم والجديد، وكلاهما مصدران أوليان للعقيدة النصرانية. وقد كان ذلك على يد أحد "المارانوس" وهو "باروخ إسبينوزا"[٢]، حيث بدأ يطعن في كتاب النصارى المقدس وكذلك بعض أسفار العهد القديم "التوراة" فيقول: "إن المعلومات التاريخية الواردة في التوراة ناقصة بل هي كاذبة، وأن الأسس التي تقوم على المعرفة في هذا الكتاب غير كافية من حيث الكم، ومَعِيبة من حيث الكيف..."، ويقول: "ظهر واضحًا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة..." إلى غير ذلك من الانتقادات التي تؤكد التحريف والتبديل.

أما عن العهد الجديد "الإنجيل" فقال: "كانت هناك استحالات وتناقضات من حيث التوقيت الزمني"، وقد أشار الفيلسوف إلى أن مثل هذه النصوص المتباينة قد خلقت بين رجال اللاهوت صراعات مريرة بل دامية، بدلًا من السلوك القويم الذي يحث عليه الدين"[٣].

وهكذا شكك "سبينوزا" في الكتاب المقدس عند اليهود، ولكن المعنى والمقصود هو كتاب النصارى "الإنجيل".

---

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٨٨).

(٢) **باروخ إسبينوزا أو سبينوزا:** فيلسوف هولندي من أصل يهودي نبذه أهله والجالية اليهودية في أمستردام بسبب آرائه التي تجعل الله مرادفًا للطبيعة الكاملة، عرف فلاسفة العرب واليهود ومؤلفات ديكارت، صدر له أثناء حياته "مقالة في اللاهوت والسياسة"، وقد دفعت به إرادة المعرفة والعيش في الحرية إلى وضع أسس نظرية حلولية في المعرفة. ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري (٣/ ٣٨١)، المنجد في اللغة والأعلام (قسم الأعلام)، معلوف ص(٢٩٥-٢٩٦)، الموسوعة العربية الميسرة، غربال (١/ ١٣٨).

(٣) ينظر: قصة الحضارة، ديورانت (٣٤/ ١١٣).

وهكذا أثرت أفكار "سبينوزا" وفلسفته في الأجيال التي جاءت من بعده "واعتبر اليهود ابنهم خائنًا لقومه، وصب النصارى عليه اللعنة شيطانًا بين الفلاسفة، مسيحًا دجالًا سعى لسلب العالم من كل معنى ورحمة وأمل، بل إن المهرطقين أنفسهم أدانوه واستنكروه"[١].

إن لسبينوزا نصيبًا متواضعًا، يكاد يكون خفيًا في تنشئة الاستنارة في فرنسا، فإن زعماء هذه الثورة العنيفة استخدموا نقد "سبينوزا" للكتاب المقدس سلاحًا في حربهم ضد الكنيسة. وهذا اعتراف من كاتب نصراني أمريكي وهو "ول ديورانت" على أن "سبينوزا" كان لأفكاره وآرائه العون والمدد لزعماء الثورة الفرنسية في حربهم ضد كنيستهم، بل وإعجاب الأجيال النصرانية في جميع أنحاء أوروبا بآراء "سبينوزا" ومعتقداته وأفكاره تمامًا كما اقتنعوا بأفكار الفلاسفة وآراءهم من بعده، وخاصة من اليهود الذين دعوا إلى نبذ الدين واتباع أفكارهم ومذاهبهم"[٢].

وهكذا استطاعت أيادي اليهود الخفية من خلال فلاسفتهم أو النظريات التي تبنّوها أن تهدم ما تبقى من الديانة النصرانية"[٣].

ثالثًا: الإسهام والتأثير في ظهور حركات الإصلاح والتحرر الكنسي النصراني وانتشارها، حيث تخطَّى اليهود "المارانوس" الحدود الإسبانية والبرتغالية التي كانت تقع تحت الحكم النصراني الكاثوليكي والتي رفضت الهرطقات النصرانية الأخرى التي ظهرت في تلك الآونة، وأهمها المذهب النصراني البروتستانتي، وهاجرت إلى البلاد الأوربية المجاورة كهولندا وإنجلترا وألمانيا، ومن هؤلاء من أعلن عن يهوديته صراحة عندما هاجر إلى تلك البلاد، ومنهم من ظل على إخفاء يهوديته وذلك لنيل

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٩٤-١٩٥).

(٢) ينظر: قصة الحضارة، ديورانت (٣٤/ ١٥٥).

(٣) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٩٣-١٩٦).

بعض المكاسب والمناصب في البلاد التي هاجروا إليها، وخاصة من هاجر إلى الأرض الجديدة التي اكتشفت آنذاك وهي أمريكا... وحيث إن تلك البلاد التي هاجروا إليها كانت مهدًا لبدايات المذهب البروتستانتي الذي قام على إهدار حق الكنيسة الكاثوليكية في احتكار تفسير نصوص الكتاب المقدس، مما فتح الباب أمام اليهود لاختراق هذا المذهب عن طريق تفسير النصوص الإنجيلية، بما يتماشى وأهواء اليهود وبما يخدم مصالحهم وأهدافهم(١).

وقد تمكن كثير من اليهود المتخفين من اختراق هذا المذهب وأصبحت لهم فيه صولة وجولة، ومن خلاله قام اليهود بالترويج لفكرة أن اليهود هم شعب الله المختار، ومنذ ظهور ذلك المذهب نشأت معه فكرة تعظيم النصارى لليهود، وبدأ ظهور ما يُسمَّى بالحركات الصهيونية -النصرانية-، وقد كانت للأيادي الخفية اليهودية الأثر الأكبر في معتقدات وأفكار هذا المذهب البروتستانتي الذي تأثر كثيرًا باليهودية، بحيث أصبح هناك شبه تحالف مقدس بين البروتستانتية واليهودية بصورة عامة، وخلَّفت علاقةً أكثر خصوصيةً بين الصهيونية المعاصرة بما تحمله من أفكار ومعتقدات يهودية وبين البروتستانتية الأصولية والتي خرج من رحمها الإنجيليون الأصوليون(٢).

ومهما يكن من أمر فإن هذا يدل على مدى اختراق اليهود للكنيسة الأم، وأن تداعيات هذا الاختراق قد ظهر بوضوح من خلال الانشقاقات والصدوع التي قد حدثت في الكنيسة بفعل اليهود وأياديهم الخفية، بل إن هذه الانشقاقات، قد حدثت في المذاهب النصرانية والتي قسِّمتها إلى مذاهب وطوائف وتيارات عديدة، وهذا ما حدث في المذهب الذي أسسه "مارتن لوثر" تحت دعوة الإصلاح الديني والذي

(١) ينظر: اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد، ص(١٣٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص(١٣٣-١٣٤).

يسمى بالبروتستانت[١]. وهذا ما حدا ببعض من ينتسبون لمذاهب نصرانية أخرى -غير البروتستانتية- إلى القول بأن "مارتن لوثر" كان يهوديًا[٢].

فلا غرابة إذًا أن يُقال: «لم تكن أوربا قبل عصور الإصلاح الديني تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قُدِّر له أن يعود للأرض المقدسة، وإذا كان اليهودي مختارًا لأمر ما فإنه اللعنة، وكان اليهود يُعتبرون مارقين، ويُوصمون بأنهم قتلة المسيح» [٣].

رابعًا: التغلغل والنفوذ إلى النظام البابوي الكاثوليكي والتأثير عليه، فمن الثابت أن بعض هؤلاء "المارانوس" استطاعوا الوصول إلى كرسي البابوية في روما.

فقد كانت بعض الأسر من "المارانوس" تهدف إلى استلام أحد أفرادها منصب البابا المسؤول عن جميع كنائس العالم النصرانية، كأسرة "بيرليوني"، والتي استطاع ثلاثة من أفرادها[٤]، تسنُّم ذروة البابوية الكاثوليكية.

وهم وإن كانوا قد أسهموا في نمو الكنيسة وتطورها، كما مارسوا العنف والاضطهاد ضد اليهود، إلا أنه لا يُستبعد أن ذلك من باب التمويه والتقية التي تمرَّسوا عليها كمارانوس، بدليل أن أثرهم على المدى البعيد كان يصب في مصلحة اليهود وخدمتهم.

فالدراسات تثبت وجود النفوذ اليهودي في المجال الديني الكنسي في أوروبا، حيث تحول الفاتيكان بسلطانه وهيلمانه إلى يد قوية تعمل من أجل الكيان الصهيوني،

(١) اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد، ص(١٣٨)، بتصرف.

(٢) للتوسع في هذه القضية ينظر: مارتن لوثر واليهودية، مبحث من كتاب اليهود المتخفون عبر التاريخ، ليوسف رشاد ص(١٥١-١٦٢).

(٣) الصهيونية غير اليهودية، ريجينا ص(٢٩).

(٤) هم: إيونوس جراتيانوسي(غريغوري السادس١٠٤٥- ١٠٤٦)، وهيلد براند (غريغوري السابع ١٠٧٦- ١٠٨٥)، وبطرس بيرليوني (أناسولت الثاني ١١٣٠-١١٣٨). ينظر: أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، هدى درويش ص(٣٦).

والوثائق تكشف مدى التغلغل اليهودي في الفاتيكان حيث استقطبت الماسونية عددًا من رموز الكنيسة في أوروبا وجندتهم لخدمة أهداف الصهيونية.

يقول الكاتب البريطاني القس "جون لورانس": «إن الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن الثامن عشر أصدرت ستة عشر تصريحًا بابَوِيًّا كلها تُدين الدخول إلى الماسونية، ولكن الكنيسة في السنوات الأخيرة أخذت تتعرض لضغوط شديدة لتغيير هذا الموقف»[١]. ومع أن هذا الكلام لا يبيِّن بصراحة أمر النفوذ إلا أن الوقائع والأحداث أثبتت بكل يقين النفوذ اليهودي في المجال الديني.

ولقد بلغ الدهاء اليهودي مداه حين فوجئ العالم بوصول يهودي إلى سدة رئاسة أساقفة باريس، وهو الأسقف "جان ماري لوستيجر" الذي قال في أول مقابلة أُجريت معه بعد تسلمه منصبه الجديد أنه لا ينكر تحدّره من عائلة يهودية بولونية على الرغم من كونه نصرانيًّا كاثوليكيًّا فرنسيًّا، وأردف قائلًا: "إنني يهودي، وإنني أعي مسؤولياتي في ذلك بشكل كامل".

وبهذا النفوذ لا يكاد المرء يرى نشرة أو موعظة كنسية أو أي إصدار ديني إلا ويجد أمرين:

الأول: حق إسرائيل في فلسطين باعتبارها أرض الميعاد.

الثاني: الإساءة إلى الإسلام وتبشيع صورة المسلم أمام العقل الغربي وتوسيع الهُوِّة بين الإسلام والغرب[٢].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هناك من "المارانوس" من لم يصل إلى كرسي البابوية، ولكنه وصل إلى مناصب ذات تأثير في بلاط الحكام والملوك الكاثوليك[٣]، كما كان

(١) ينظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، زايد ص(٢٦٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص(٢٦٦-٢٦٧).

(٣) وأبرز الأمثلة على ذلك ما كان مع الملك "فرديناند الخامس" ملك "أرجون" وزوجته "إيزابيلا".

عدد منهم أعضاء في المجلس الملكي، وآخرين كانوا قادة ومُتنفِّذين، ومنهم من كان محيطًا بالملك وعائلته، وربما ساهموا في تمويل حروب ملكية كاثوليكية ضد المسلمين[١].

ومثل هذا يُقال في بعض المراتب والدرجات في النظام البابوي[٢].

وهذا يُؤكِّد ما قيل عن اليهود أنهم كانوا خلف كل رجل كبير وصل إلى السلطة أو إلى مركز قيادي ليسير فيما بعد، حسب خططهم تلك التي تهدف إلى القضاء على الديانات الأخرى واستغلال خبرات الأمم، واستعباد بني البشر[٣].

وبناءً على ما سبق من الأثر اليهودي (ومنه المارانوسي) على البروتستانت والكاثوليك يمكن القول إن رياح التغيير في الموقف النصراني تجاه اليهود بدأت تهب منذ ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتية في القرن السادس عشر، حين أطاحت هذه الحركة بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس، وتحديد الرؤية النصرانية الفكرية، وبذلك تم إحياء النص التوراتي وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلقة باليهود يحلُّ محلّ التأويلات والتفسيرات التي تبنَّتها الكنيسة الكاثوليكية الأم، وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجيًا[٤]، وقد تولدت عن هذا نظرة جديدة عن اليهود حاضرًا ومستقبلًا.

وهكذا تسرَّبت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة والفكر النصراني، وكانت هذه الأدبيات تدور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الملة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: أن ثَمَّة ميثاقًا إلهيًا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن

(١) ينظر: أسرار اليهود المتنصرون في الأندلس، ص(٤٠).

(٢) ينظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، زايد ص(٢٦٥-٢٦٦).

(٣) اليهودية والماسونية، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، ص(٢٢).

(٤) ينظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، زايد ص(١٦٨).

هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: ربط عودة المسيح في الإيمان النصراني بقيام دولة صهيون، أي إعادة وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم[1].

(١) الأصولية الإنجيلية، ص(٤٤-٤٥)، وللتوسع في هذا ينظر: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، زايد ص(١٦٥- ١٧٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة النبوات، وبعد:

فقد أنهيتُ -بفضل الله- عرضي ودراستي ليهود "المارانوس"، وانتهيت إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

- أن اليهودية هي الديانة الباطلة المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به نبي الله موسى عليه السلام، وقد عُرِّفت بمُسمَّيات عدة.
- افترق اليهود إلى فرق وطوائف مختلفة ومتعددة ومتفاوتة زمانًا ومكانًا، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ في حديث الافتراق المشهور، ويهود "المارانوس" يمكن عدّهم مظهرًا من مظاهر ذلك الافتراق والاختلاف.
- تعدد الأقوال والآراء في تعريف طائفة "المارانوس" اليهودية، ومهما يكن من أمر فهم: "اليهود الذين تنصروا في الظاهر مضطرين بعد زوال الحكم الإسلامي عن الأندلس".
- أن أصل كلمة "المارانوس" واشتقاقاتها في اللغة محل اختلاف وإشكال، لكن المصطلح يدور في الغالب على معانٍ تتضمن القدح والذم، وأحيانًا التعبير عن مخالفة الظاهر للباطن.
- كان ظهور يهود "المارانوس" ونشأتهم بسبب الاضطهاد والعنف الذي مارسه النصارى الكاثوليك ضد اليهود والمسلمين في الأندلس بعد سقوطها من أيدي المسلمين، مما اضطرهم لإظهار النصرانية واخفاء معتقداتهم التي يدينون بها.
- أن الطريقة التي انتهجها "المارانوس" في إبداء معتقد وإخفاء آخر استندوا فيها -بزعمهم- إلى قصة وردت في الكتاب المقدس، كما أن هذه الطريقة لها جذور وإرهاصات سبقت الوجود الإسلامي في الأندلس، نظرًا لما كانوا يعانُونه من إيذاء النصارى لهم.

• قام اليهود "المارانوس" بأداء جملة من التشريعات والطقوس النصرانية التي كان لا بُدَّ لهم من إظهارها، وفق ما تُمليه عليهم ظروفهم ومآربهم التي يريدون تحقيقها، ولعدم ثقة النصارى في تنصّرهم قاموا بفرض القَسَم عليهم بالإضافة إلى أخذ العهود والمواثيق.

• حرص "المارانوس" على التمسك بيهوديتهم باطنًا والمحافظة عليها، مع اعتناقهم للنصرانية ظاهرًا، فكانوا يكتمون معتقداتهم اليهودية، ويمارسون الشعائر والطقوس اليهودية سرًّا، واتخذوا في سبيل ذلك جملة من الوسائل والتدابير التي تكفل سلامتهم.

• أن تذبذب يهود "المارانوس" بين إعلان النصرانية وإسرار اليهودية أدَّى إلى تأثر فئام منهم ومن أجيالهم بعقائد النصارى وتشريعاتهم وعاداتهم، على حساب ما يقابل ذلك كله في الديانة اليهودية، فاختفت بذلك شرائع يهودية مهمة، واكتسب بعضها ملامح جديدة ابتعدت بها عن أصلها.

• كان من أهم أسباب تأثر "المارانوس" بالنصرانية وضعف صلتهم بيهوديتهم، نقص العلماء والعارفين باليهودية، وازدياد نسبة الزواج المختلط بينهم والنصارى، بالإضافة إلى الوسائل والتدابير التي اتخذها النصارى معهم؛ لقطع علاقتهم بدينهم الأصلي.

• استطاع اليهود "المارانوس" التأثير والتغيير في النصرانية كمًّا وكيفًا، ومن أبرز صور ذلك التأثير والتغيير:

١- وجود شخصيات مؤثرة تدافع عن اليهود وعن حقوقهم.

٢- الطعن والتشكيك في الكتاب المقدس وإثبات تحريفه.

٣- المساهمة والتأثير والدعم في ظهور وانتشار حركات الإصلاح والتحرر البروتستانتي.

٤- التغلغل والنفوذ إلى النظام البابوي الكاثوليكي والتأثير عليه.

- أن هذه الطائفة اليهودية (المارانوس) بحاجة إلى مزيد من الأبحاث والدراسات المتعمقة؛ لسبر غورها، وتتبع تاريخها، وإماطة اللثام عن حقائقها، وكشف آثارها ومظاهر وجودها في العصر الحاضر.

وأخيرًا، آمل أن أكون قد وُفِّقت للصواب فيما قصدت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

❖ المصادر والمراجع المطبوعة:

١. **الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير القرطبي**. الحوشان، يوسف بن حمود، ط١، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٣٤هـ.

٢. **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**. التلمساني، شهاب الدين أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري، تحقيق: مصطفى السقا- إبراهيم الإبياري- عبد العظيم شلبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، (د.ط).

٣. **إسبانيا في تاريخها**. كاسترو، أميركو، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، (د.ط).

٤. **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**. السلاوي، شهاب الدين أحمد بن خالد، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصر، الدار البيضاء، دار الكتاب، (د.ط)، (د.ت).

٥. **أسرار الكنيسة السبعة**. حبيب: الأرشيد ياكون، ط ١، ١٩٣٤م، (د.م)، (د.ن).

٦. **أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، دراسة عن اليهود المارنواس**. درويش، د. هدى، ط١، القاهرة، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨م.

٧. **الأصولية الإنجيلية**. السماك، محمد، ط٢، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٣م.

٨. **إظهار الحق**. الكيرانوي، رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي الحنفي، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط١، السعودية، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٩. **الاعتصام**. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ن)، (د.ت).

١٠. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**. الرازي، فخر الدين، تعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط١، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (د.م).

١١. **الإمبراطورية البيزنطية**. يوسف، عبد القادر أحمد، بيروت، دار المكتبة العصرية، ١٩٨٤م، (د.ط).

١٢. أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية ١٣٨هـ-٤٢٢هـ/٧٥٥م-١٠٣١م. ولد أن، محمد الأمين، ط١، دمشق، دار الأوائل٢٠١١م.

١٣. بابوات من الحي اليهودي. برنز، يواكيم، نقله إلى العربية الأستاذ: خالد أسعد عيسى، راجعه وقدم له د.سهيل زكار، ط١، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٣م- ١٤٠٣هـ.

١٤. البدء والتاريخ، المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي. المقدسي، وهو للمطهر بن طاهر، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (د.ت).

١٥. بداية النهاية: السبي الأخير لبني إسرائيل على أيدي أبناء إسماعيل عليه السلام .يوسف، رشاد، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩م. (د.م).

١٦. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ابن عذاري، أبو عبدالله أحمد بن محمد، تحقيق: إ.ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، (د.ط)، (د.ت).

١٧. بين الإسلام والمسيحية. الخزرجي، أبي عبيدة، تحقيق: د. محمد شامة، مكتبة وهبة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

١٨. بيوتات فاس الكبرى. ابن الأحمر، إسماعيل، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (د.ط).

١٩. تاريخ ابن البطريق. ابن البطريق، سعيد بن البطريق النصراني الطبيب المصري، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٥م، (د.م)، (د.ط).

٢٠. تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الإسبانية: إميليو جارثيا جومث، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، جدة، مطابع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ٢٠٠٠م، (د.ط).

٢١. تاريخ الأقباط. شنودة: زكي، القاهرة، مطبعة التقدم، (د.ط)، (د.ت).

٢٢. تاريخ الديانة اليهودية. محمد، خليفة حسن أحمد، ط١، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٢٣. تاريخ الشعب اليهودي. للحاخامين. مارجوليز. ماركس، ماكس، ألكسندر، بيروت، مكتبة ودار بيبليون، بيبلوس، (د.ط)، (د.ت).

٢٤. **تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة**: كيرلسبسنرس، حنا الفاخوري، جوزيف البولسي، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

٢٥. **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**. دروزة، محمد عزة، القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية، (د.ط)، (د.ت).

٢٦. **التحرير والتنوير**. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، (د.ط)، (د.ت).

٢٧. **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**. الجعفري، صالح بن الحسين، دراسة وتحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، ط١ الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٨. **التدمرية**. ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، ط٦، الرياض، مكتبة العبيكان ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩. **تفسير القرآن العظيم**. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (د.م).

٣٠. **تلبيس إبليس**. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ط١، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣١. **تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان**. الفخري، علي بن محمد بن عبدالله، تحقيق: د.رشيد البندر، ط١، دار الحكمة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، (د.م).

٣٢. **تهذيب اللغة**. الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٣٣. **جامع البيان في تأويل القرآن**. الطبري: محمد بن جرير، أبو جعفر، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (د.م).

٣٤. **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).

٣٥. **الجامع لأحكام القرآن**. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، (د.ط).

٣٦. **الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية**. محمد، د. إسماعيل علي، ط٢، المنصورة، دار الكلمة الطيبة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٧. **حقائق أساسية في الإيمان المسيحي**. فارس، القس فايز، القاهرة الجديدة، دار الثقافة المسيحية، (د.ط)، (د.ت).

٣٨. **حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي**. زايد، أحمد محمد، ط١، عمان، الأردن، دار المعالي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٩. **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**. عجيبة، أحمد، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٦م.

٤٠. **دائرة المعارف الكتابية– المسيحية، مع تفسير العهدين القديم والجديد**، د.القس صموئيل حبيب، د.القس فايز فارس، القس منيس عبدالنور، جوزيف صاب، تحرير: وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

٤١. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م، (د.ط).

٤٢. **الدر المنثور**، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، القاهرة، هجر للطباعة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

٤٣. **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**. الخلف، سعود بن عبد العزيز، ط٣، الرياض، أضواء السلف، (د.ت).

٤٤. **دراسات في النصرانية**. مزروعة، محمود محمد، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (د.ن)، (د.ط).

٤٥. **دراسات في اليهودية**. بركات، عبدالله وآخرون، ط١، القاهرة، دار التقوى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٦. **دولة الإسلام في الأندلس**. عنان، محمد عبد الله، القاهرة، مكتبة الأسرة، (د.ط)، (د.ت)

٤٧. **رسالة في اللاهوت والسياسة**، سبينوزا، ترجمة: د.حسن حنفي، مراجعة: د.فؤاد زكريا، ط٣، القاهرة، مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.

٤٨. **رسائل في الأديان والفرق والمذاهب**. الحمد: محمد بن إبراهيم، ط١، الرياض، دار ابن خزيمة، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

٤٩. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. الألوسي: أبو الفضل محمود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).

٥٠. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**. الألباني: محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

٥١. **سنن ابن ماجه**. القزويني: محمد بن يزيد أبو عبد الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).

٥٢. **سنن أبي داود**: مراجعة وضبط: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

٥٣. **سنن الترمذي**. الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٤هـ.

٥٤. **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٥. **الشريعة**. الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين: تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي، ط١، الرياض، دار الوطن، ١٤١٨هـ.

٥٦. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. البسني: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٧. **الصراع العقائدي في الأندلس**. الغامدي، خالد بن ناصر، الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤٢٩هـ، (د.ط).

٥٨. **الصهيونية غير اليهودية**. الشريف، ريجينا، سلسلة عالم المعرفة (٩٦)، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، ديسمبر ١٩٨٥، (د.ن)، (د.ط).

٥٩. **العبادات في الأديان السماوية اليهودية –المسيحية– الإسلام**. الموحي، عبد الرزاق رحيم صلال، ط٤، دمشق، دار صفحات للدراسات والنشر ٢٠١٢م.

٦٠. **العين**. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

٦١. **الفتوحات الإسلامية.** جوزيف، رينو، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، ط١، بيروت، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ١٩٨٤م.

٦٢. **فجر الأندلس،** حسين مؤنس، دار الرشاد، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

٦٣. **الفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية:** ترجمة وتقديم: نبيل الغندور، ط١، الجيزة، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

٦٤. **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات.** همو، عبد المجيد، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، ط١، دمشق، دار الأوائل، ٢٠٠٣م.

٦٥. **الفصل في الملل والأهواء والنحل.** الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٥هـ، (د.ط).

٦٦. **الفكر الديني اليهودي: أطواره ومذاهبه.** ظاظا، د.حسن، ط١، بيروت، دار القلم، دمشق، الدار الشامية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٧. **قاموس الكتاب المقدس:** تأليف: نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكساندر طمسن، إبراهيم مطر، ط١٤، بيروت، لبنان، دار مكتبة العائلة بالقاهرة، (٢٠٠٥م).

٦٨. **القاموس المحيط.** الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، تحقيق: ط٢، بيروت، مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

٦٩. **قاموس المذاهب والأديان.** حمد، د. حسين علي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٩هـ.

٧٠. **قصة الحضارة.** ديورانت: ول – ترجمة: محمد بن فتح الله بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م، (د.م)، (د.ط).

٧١. **الكتاب المقدس،** مع دراسات للنمو في الحياة المسيحية، مقدمة سفر نشيد الإنشاد، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

٧٢. **لسان العرب.** ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ط١، بيروت، دار صادر، (د.ت).

٧٣. **الله جل جلاله واحد أم ثلاثة.** السقار، د. منقذ بن محمود، ط١، الجيزة، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

٧٤. **مجموع الفتاوى**. ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، ط ٣، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، (د.م).

٧٥. **محاسن التأويل**، للقاسمي، اعتنى به محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، (د.م).

٧٦. **محاضرات في النصرانية**. أبو زهرة، محمد، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).

٧٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٧٨. **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**. الفغالي: د.الخوري بولس، ط ١، بيروت، لبنان،، جمعية الكتاب المقدس والمكتبة البولسية، (٢٠٠٣م).

٧٩. **مختار الصحاح**. الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، (د.ط).

٨٠. **المختصر في أخبار البشر**. الملك المؤيد، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن أيوب، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (د.م)، (د.ت).

٨١. **المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص**. الحاكم: محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٨٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. الشيباني: أحمد بن حنبل أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٨٣. **المسيح المخلِّص في المصادر اليهودية والمسيحية**، ترجمة: نبيل أنسي الغندور، ط١، الجيزة، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م.

٨٤. **مصادر النصرانية دراسةً ونقدًا**. آلارو، د.عبد الرزاق بن عبدالمجيد، ط١، الرياض، دار التوحيد للنشر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨٥. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. المقري: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).

٨٦. **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، (د.م)، (د.ط)

٨٧. **معجم اللاهوت الكتابي**، منشورات دار المشرق، ط٣، بيروت، ١٩٩١م، (د.ن).

٨٨. **المعجم الوسيط**: إخراج الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، ط ٢، مطابع دار المعارف، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (د.م)

٨٩. **معجم مقاييس اللغة**. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، (د.ن)، (د.ط)

٩٠. **مفاتيح الغيب الرازي**: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩١. **مفصل العرب واليهود في التاريخ**. سوسة، د. أحمد، ط٥، ط٢، دمشق، دار الحرية للطباعة، دار الإيمان ١٩٨١م، ١٤٠٥هـ.

٩٢. **مقارنة الأديان "المسيحية"**. شلبي، د. أحمد، ط٥، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.

٩٣. **الملل والنحل**. الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٤هـ، (د.ط).

٩٤. **المنجد الأبجدي**: ط٤، بيروت –لبنان، (د.ن)، (د.ت).

٩٥. **المنجد في اللغة والأعلام**. معلوف، لويس، المكتبة الشرقية، ٢٠٠٧م، (د.م)، (د.ط).

٩٦. **منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى**. عبد المحسن، عبد الراضي بن محمد، ط١، القاهرة، الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٩٧. **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ناصر القفاري، وناصر العقل، ط١، الرياض، دار الصميعي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٨. **موسوعة الأديان والمذاهب**. أسود، العميد: عبد الرازق محمد، ط٢، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٩٩. **الموسوعة العربية العالمية**: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (د.م)، (د.ن).

١٠٠. **الموسوعة العربية الميسرة**. غربال: إشراف: محمد شفيق، بيروت، دار نهضة لبنان، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، (د.ط).

١٠١. **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية**. المسيري، تأليف وإشراف: د. عبدالوهاب محمد، سوسن حسين، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، (د.ط)، (د.ت).

١٠٢. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**. المسيري، عبد الوهاب، ط١، دار الشروق، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، (د.م).

١٠٣. **موسوعة قصة الحضارة**. ديورانت، ول، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط)، (د.ت).

١٠٤. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. التلمساني: أحمد بن محمد المقري، تحقيق: د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، (د.ط).

١٠٥. **يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه**. اليسوعي، الأب بولس إلياس، بيروت، ١٩٦٦م، (د.ن)، (د.ط).

١٠٦. **يهود الدونمة**. عبد المعبود، د. مصطفى، ط١، مصر، مكتبة النافذة ٢٠١٠م.

١٠٧. **اليهود المتخفون عبر التاريخ وأثرهم في المسيحية والإسلام قديمًا وحديثًا**. رشاد، يوسف، ط١، حلب، سوريا، دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.

١٠٨. **اليهود المفسدون في الأرض**. الحصين، أحمد بن عبد العزيز، ط١، القاهرة، مكتبة الإيمان، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٠٩. **اليهود فتنة التاريخ**. آغا، ماهر أحمد، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٢م.

١١٠. **اليهود في الأندلس**. عبد المجيد، محمد بحر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، (د.ط).

١١١. **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**. لوبون، غوستاف، ترجمة: عادل زُعيتر، ط١، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠٠٩م.

١١٢. **اليهودية الماسونية**. الدوسري، عبد الرحمن، ط١، دار السنة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، (د.م).

١١٣. **اليهودية بين الوحي الالهي والانحراف البشري**. عبد الباري، فرج الله، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤م.

١١٤. **اليهودية والمسيحية**. الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، ط١، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

❖ المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية:

١١٥. **دراسة شاملة عن الفرق اليهودية القديمة والمعاصرة**. الجبوري، عبد الوهاب:
http://bafree.net/alhisn/showthread.php?t=138536

١١٦. **الفرق اليهودية المعاصرة**. السويلم، أسماء سليمان، - مجلة الدراسات العقدية- المدينة المنورة، العدد الأول، محرم ١٤٣٠هـ.

١١٧. **محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، اليهود ومحاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال**، مرقس، د.يواقيم رزق:
http://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_05-Western-Church-History/Church-of-West__50-Al-Yahood-Wa-Mahakem-El-Tafteesh.html

١١٨. **من مظاهر الحفاظ عل التراث الحضاري الأندلسي لبعض الأسر اليهودية بالمغرب**. شحلان، أحمد. http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=109789

١١٩. **الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مارانوس"**: https://ar.wikipedia.org/wiki/

١٢٠. **الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "التفلين"**: https://ar.wikipedia.org/wiki

١٢١. **موقع شبكة المعارف الإسلامية على الشبكة العنكبوتية**:
http://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/almaaref_alislameya/dourouss_fe_aladyan/page/lesson4.htm.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٩٨
المقدمة	١٩٩
التمهيد : التعريف الموجز باليهودية وفرقها	٢٠٦
أولًا: التعريف باليهودية	٢٠٦
ثانيًا: الفرق اليهودية	٢٠٨
المبحث الأول "المارانوس": التعريف والنشأة	٢١٣
المطلب الأول: التعريف بـــ"المارانوس"	٢١٣
المطلب الثاني: نشأة "المارانوس"	٢١٩
المبحث الثاني "المارانوس" الظاهر والباطن	٢٢٩
المطلب الأول: "المارانوس" والظاهر النصراني	٢٢٩
المطلب الثاني: "المارانوس" والباطن اليهودي	٢٣٦
المبحث الثالث "المارانوس": التأثر والتأثير	٢٤٨
المطلب الأول: تأثر "المارانوس" بالنصرانية	٢٤٨
المطلب الثاني: تأثير "المارانوس" في النصرانية	٢٥٢
الخاتمة	٢٦١
فهرس المصادر والمراجع	٢٦٤
فهرس الموضوعات	٢٧٤